دور العمل الخيري في تجسيد مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الفرد

الباحث/

الدكتور كمال لدرع

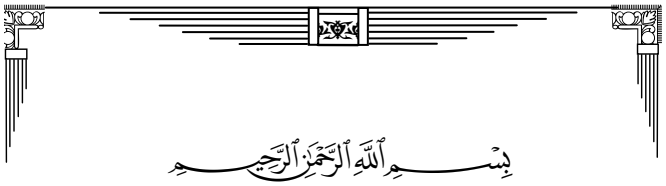

المقدمة

إن العمل الخيري في مفهومه البسيط هو عمل تطوعي ونشاط نافع يقوم به كل فرد أو مجموعة بشكل تلقائي أو منظم يتطوع به؛ خدمةً لمجتمعه أو وطنه دون مقابل ينتظره من الغير إلا ابتغاء تحقيق الخير والنفع العام ونيل الثواب من الله تعالىٰ.

والمعلوم أن العمل الخيري مما حثّ عليه كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ كما سيأتي بيانه، ذلك أن له أثر طيبا في الدنيا، وثوابا عظيما يوم القيامة، حيث عُدّ من جملة الصدقات والتبرعات التي يعظم أجرُها، قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

ومن أجل تفعيل دور العمل الخيري داخل المجتمع وتحقيق النفع العام، وجب النظر إليه نظرة مقاصدية وواقعية؛ إذ لم يعد العمل الخيري بذلك المفهوم البسيط الذي قد يُساء فهمُه في تفسير نصوص السنة النبوية؛ إذ تلك الآثار تُؤصِّل للعمل الخيري ولا يَقتصر علىٰ ما ورد فيها، وإنما استنادا إلىٰ تلك النصوص الشرعية يتم ترقيته وتنظيمه وتوسيع مجالاته، والحث عليه حتىٰ يصبح سلوكا فرديًّا، وينخرط فيه الجميع اجتماعيا، ويتحول إلىٰ عمل مشترك منظم، وله مؤسسات تشرف عليه وترعاه.

وعليه يمكن أن يُوظف العمل الخيري كأهم وسيلة مباشرة في تحقيق المقاصد النبيلة التي رامت الشريعة إلىٰ تحقيقها في حياة الناس. فإذا كان الشرع قد جعل من آلية الحكم الشرعي التكليفي الواجب والحرام وسيلةً شرعية لتجسيد مقاصد التشريع السمحة وتطبيق أحكامه، فيمكن أيضا أن يوظف العمل التطوعي الذي يندرج ضمن المستحب والمباح طريقا لتحقيق تلك المقاصد الشرعية بمراتبها المختلفة.

فمقاصد الشريعة قائمة علىٰ تحقيق المصالح وإسعاد الناس وتيسير حياتهم وتمكينهم من التمتع بالطيبات، وهذا يمكن تحقيقه عن طريق العمل الخيري الذي ينخرط فيه كل فرد من أفراد المجتمع. ذلك أن العمل الخيري أو التطوعي تتسع مجالاته، وتتعدد ميادينه، وتتنوع قطاعاته، فنجده في مجال العبادة، ومجال الدعوة، ومجال العلم، والمجال الاقتصادي والمالي، والمجال الصحي، والمجال الإعلامي، والمجال التربوي...، وهذه المجالات وغيرها كفيلة لتفعيل دور الفرد ليكون أداة إيجابية لتنمية الخير في المجتمع، ومن خلال ذلك يطور الفرد مهاراته الذاتية، وتكون له فرصة لإظهار قدراته وإبداعاته، فيكون العمل الخيري بعد ذلك قد أسهم في إعداد الفرد المنتج.

فأردت من خلال هذه الورقة البحثية بيان أثر العمل الخيري في تجسيد مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة من خلال عمل الفرد، الذي ينبغي أن يكون عنصرا فعالا في تحقيق سماحة الدين ويسره وخيريته.

۞ أهداف الورقة البحثية:

- وجوب الاعتناء بوظيفة العمل الخيري.
- إبراز الدور الاجتماعي للفرد في العمل الخيري.
- إبراز أهمية العمل الخيري في تنمية المهارات الفردية.

ـ بيان أهمية العمل الخير التطوعي في تجسيد مقاصد الشريعة.

ـ ضرورة تفعيل ميادين العمل الخيري وحث كل فرد عليه خدمة للمقاصد العامة.

ـ إبراز دور العمل الخيري في ترسيخ ثقافة التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي.

۞ خطة البحث:

وقد عالجت الموضوع في الخطة المبدئية الآتية:

المقدمة:

أولا: العمل الخيري: تعريف وتأصيل.

١ – تعريف العمل الخيري.

٢– صلة العمل الخيري بالعمل التطوعي.

٣ – مشروعية العمل الخيري في نصوص الشرع.

أ – حث القرآن الكريم علىٰ فعل الخير.

ب – مشروعية عمل الخير من السنة النبوية.

٤ – حكم العمل الخيري.

أ – عمل الخير الواجب.

ب – عمل الخير المستحب.

ثانيا: حفظ الفرد مقصد شرعي عظيم.

ثالثا: الإنسان مصدر الطاقة والعمل والتغيير.

رابعا: دور العمل الخيري في حفظ مقاصد الكليات الضرورية علىٰ المستوىٰ الفردي.

١ – دور العمل الخيري في حفظ مقصد تدين الفرد.

٢ – دور العمل الخيري في حفظ نفس الفرد.

٣ – دور العمل الخيري في حفظ العقل.

٤ – دوره في حفظ نسل الفرد.

٥ – دوره في حفظ مقصد حفظ مال الفرد.

خامسا: دور العمل الخيري في إعداد الفرد الاجتماعي.

١ – تنمية روح المسؤولية.

٢ – تنمية الروح الجماعية.

١ – تدريب الفرد علىٰ الفعالية الإنتاجية.

٢ – تحفيز الفرد علىٰ روح المبادرة لخدمة مجتمعه والتفاعل مع قضاياه.

٣ – تمكين الفرد من الانخراط في العمل الجماعي.

سادسا: أثر العمل الخير في تدريب الفرد علىٰ الإبداع وكسب المهارات.

١ – الفرد المبدع قيمة اجتماعية.

٢ – دور العمل الخيري في اكتشاف ميولات الفرد ومواهبه.

٣ – العمل الخيري مجال حيوي لتنمية الإبداع وكسب المهارات.

٤ – انخراط الشاب البطال في ورشات العمل الخيري لكسب مهارات حرفية ومهنية.

٥ - استثمار وقت الشباب وتنظيمه.

سابعا: أثر العمل الخيري في إصلاح سلوك الفرد.

١ – أثره في تقويم أخلاق الفرد وإبعاده عن السوء والانحراف.

٢ - تعويد الفرد علىٰ قيم الخير والتعاون.

٣ - تنمية شعور الشفقة تجاه الغير.

٤ - تأهيل الفرد المسبوق قضائيا و المسجون للاندماج في المجتمع.

الخاتمة

أولا
العمل الخيري: تعريف وتأصيل

١ - تعريف العمل الخيري[١]:

عرفه الدكتور عبد الكريم بكار: "هو كل مال أو جهد ووقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم والتخفيف من معاناتهم، وتتسع دائرة الخير لتشمل الإحساس بالآخرين والتعاطف معهم، والدعاء لهم وتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، ومنحهم الرؤية والمنهج وإرشادهم لما فيه خير دينهم ودنياهم"[٢]. وعرفه بعضهم بقوله: "النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره دون أن يأخذ عليه مقابلا ماديا، ولكن ليحقق هدفا خاصًّا له أكبر من المقابل المادي قد يكون عند بعض الناس الحصول علىٰ الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة رجاء الثواب عند الله تعالىٰ،

(١) الخير: اسم تفضيل علىٰ غير قياس، وتدل كلمة "الخير" في اللغةِ العربية علىٰ ما فيه نفعٌ ولذة وسعادة وصلاح، أو ما كان أداة لتحقيقِ منفعة أو جلب مصلحة كالمال (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٦٠- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ج: ١، ص: ٢٦٤)

(٢) الدكتور عبد الكريم بكار، ثقافة العمل الخيري: كيف نرسخها وكيف نعممها؟، ط ١، سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار السلام، مصر، ص: ١٤ – العمرية شايب ربي، مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين التأصيل والتنزيل، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ١٤٣٩/ ٢٠١٨، ص: ٢٥٠.

والدخول في جنات النعيم، فضلا عما يناله في الحياة من بركة وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها"(١).

ويفهم من هذين التعريفين أن عمل الخير جهد يبذله الفرد أو الجماعة لأجل تقديم نفع مادي أو معنوي إلىٰ الغير يعود عليهم بالمصلحة في دينهم أو دنياهم أو يدرأ عنهم مفاسد وأضرار دون انتظار أجر أو ثواب من أحد وإنما تقربا إلىٰ الله تعالىٰ.

٢- صلة العمل الخيري بالعمل التطوعي(٢) :

والعمل التطوعي: هو عمل يقوم به فرد أو مجموعات سواء كان ذلك العمل بدنيا أو فكريا أو اجتماعيا أو ماديا أو دينيا، والباعث له هو احتساب الأجر والثواب من الله تعالىٰ(٣). أو هو "بذلُ الجهدِ الإنساني، بصورةٍ فردية أو جماعيَّةٍ، بما يعودُ بالنَّفعِ علىٰ المجتمع دون تكليفٍ محدَّدٍ، ويقومُ علىٰ الرَّغبةِ الحرَّةِ، والدَّافع الذَّاتيّ"(٤).

ولا شك أن هناك صلة قوية بين "الخير" و "التطوع"، ففي الغالب أن فعل الخير هو عمل تطوعي، يقوم به الأفراد اختيارا ومن تلقاء أنفسهم، ابتغاء الثواب

---

(١) الشيخ يوسف القرضاوي، أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ط٢، سنة ٢٠٠٨م، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص: ٢١.

(٢) التطوع لغة: من فعل: تَطَوَّعَ: تَنَفَّلَ، أي تَكَلَّفَ الطاعة. يقال: قام بالعبادة طائعًا مختارًا دون أن تكون فرضًا لله تعالىٰ، ومنه قوله سبحانه: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤]. (المعجم الوسيط، ج: ٢، ص: ٥٧٠).

(٣) مراد سلامة، العمل التطوعي في الإسلام، خطبة جمعة، منشور في :http //www.alukah.net/sharia/

(٤) أحمد مخيمر، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة، :http //www.alukah.net/culture/

من الله تعالىٰ ورغبة في نفع الآخرين دون انتظار مدح أو ثناء أو مقابل من أحد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

وعمل الخير كونه تطوعيا لا ينافي أن يكون منظما تقوم به مؤسسات وجمعيات تنشأ لهذا الغرض، أو يكون جماعيا يقوم به مجموعة من المحسنين متعاونين فيما بينهم؛ إذ إنه إذا كان كذلك كان نفعه كثيرا، وأثره واسعا، وفائدته عامة.

وفعل الخير التطوعي سواء أكان في مجال العبادة كالقيام بنوافل الطاعات من صلاة وصيام وصدقة وغيرها، أو كان من قبيل الإحسان إلىٰ الغير من الفقراء والأيتام والأرامل والعجزة أو عملا إصلاحيا فهو خلق إسلامي رفيع، وسلوك اجتماعي طيب، وفعل إنساني نبيل، يحدث لحمة قوية وترابطا متينا بين أفراد المجتمع الواحد، فعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»(١).

٣ - مشروعية العمل الخيري في نصوص الشرع:

أ- حث القرآن الكريم على فعل الخير:

نصوص كثيرة تحث المؤمنين علىٰ فعل الخير، وجاء الخطاب فيها تارة لموجها لجماعة المؤمنين، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٢]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم: ٦٠١١ - وصحيح مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، رقم: ٤٦٩١، واللفظ له.

رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]؛ وتارة موجها للفرد المسلم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٧٧].

والعمل الخيري كان من جملة مهام الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم الدعاة والمصلحون من بعدهم، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣] .

وقد ورد فعل الخير في القرآن الكريم مقرونا بفروض العبادات، من صلاة وزكاة وحج: قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠] ، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] . كما اقترن العمل الخيري بالتقوىٰ وكأنه أثر لها، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ب - مشروعية عمل الخير من السنة النبوية:

فقد وردت أحاديث كثيرة تدل علىٰ مشروعية العمل الخيري وتحث عليه، منها قول النبي ﷺ: «**المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُه، ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ عن مسلمٍ كربةً فرَّجَ اللهُ عنه كُربةً من**

كُرُبات يوم القيامةِ، ومن ستَر مسلمًا ستره اللهُ يوم القيامة»(١)، وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ**»، قَالُوا: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**». قَالُوا: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ بِالْخَيْرِ**». قَالُوا: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**»(٢). وقد عدّت السنةُ النبوية عمل الخير من شعب الإيمان وخصاله العظيمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(٣).

٤ - حكم العمل الخيري:

لا خلاف عند العلماء بأن عمل الخير من أعمال البّر العظيمة التي تُشرع فيها المنافسة بين المؤمنين، وهو من معايير الصلاح والاستقامة، ويثاب عليه صاحبه. و هو علىٰ مراتب:

أ - عمل الخير الواجب:

والواجب ما يلزم فعله، والمكلف فيه غير مخير بين فعله و تركه، فهو مطالب بفعله، إذا كان بالغا عاقلا قادرا مستطيعا، فإذا فعله نال عليه المدح والثواب، وإذا خالفه أو تركه نال الذم والعقاب(٤).

---

(١) صحيح البخاريُّ، كتاب المظالم، رقم: ٢٥١٩ – وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم: ٢٥٨٠.

(٢) البخاري، كتاب الزكاة، رقم: ١٣٧٦ – مسلم، كتاب الزكاة، رقم: ١٠٠٨.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، رقم: ٣٥ واللفظ له - وأصل الحديث في البخاري في كتاب الإيمان، رقم: ٠٩، ولفظه: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان).

(٤) ـ الغزالي، المستصفىٰ، ج: ١، ص: ٦٥و٦٦ – الآمدي، الإحكام، ج: ١، ص: ٨٦ – ابن =

والواجبات الشرعية تُعدُّ من أعلىٰ مراتب أعمال الخير، فالصلاة والزكاة والصوم والحج كلها أعمال الخير؛ إذ تعود بالصلاح علىٰ الفرد والمجتمع معا، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقال في الصيام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]. إن الشارع الحكيم جعل التصرفات الواجبة لا اختيار فيها للمكلف، وهذا التشديد من الشارع علىٰ ضرورة إقامتها لما تضمنته هذه الأعمال الخيرية الواجبة من مصالح عظيمة، ومقاصد جليلة، لا يجب التساهل في أدائها، لأن عدم إلزاميتا يجعلها عرضة للضياع، وبالتالي تُعطل مصالحُها، ويحرم الفرد والجماعة منها. فترك هذه الواجبات يعود بالضرر والفساد في الدنيا وبالخسران المبين يوم القيامة، من هنا أكّد الشرع علىٰ إقامتها.

إن الواجبات الشرعية عبارة عن تصرفات وأعمال خيرية فيها إلزام للمكلفين(١)، تتضمن مصالح عظيمة تقودهم إلىٰ الاستقامة والصلاح في الدنيا، والفوز برضا الله تعالىٰ وجنّته يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢]، يقول العز بن عبد السلام: (التكاليف كلها

=

قدامة، روضة الناظر، ص: ١٦ – ابن جزي، تقريب الوصول، ص: ١٠٠ – السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج علىٰ منهاج الوصول إلىٰ علم الأصول للبيضاوي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، سنة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج: ١، ص: ٥٢

(١) ـ من جهة أخرىٰ فإن الواجبات الشرعية فيها اختبار للمكلفين، فيميز الله تعالىٰ بين الطائعين من عباده من غير الطائعين، فيثيب أولئك، ويعاقب هؤلاء، قال تعالىٰ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود:٧].

راجعة إلىٰ مصالح العباد في دنياهم وآخرتهم)[1]، ويقول أيضا: (كل ما أمر به الشرع ففيه مصلحة الدارين، أو إحداهما)[2]، وقد أوجبها الله تعالىٰ علىٰ عباده للمحافظة علىٰ مصالحها، وضمان تحققها في الخلق، فلو جعل فيها اختيار للمكلف لتهاون الكثيرون في القيام بها، فتضيع بذلك مصالح الواجبات.

ب - عمل الخير المستحب:

والمستحب أو المندوب ما طلب الشارع فعله من المكلف طلبا غير لازم، فهو أخفض رتبة من الواجب[3]. وهذه التصرفات المندوبة هي أحكام رغَّب فيها الشارع الحكيم لفضلها الدنيوي وثوابها الأخروي، فيستحق فاعلها الثواب، ولا يعاقب علىٰ تركها. وقد يلحق المكلف اللوم والعتاب علىٰ ترك بعض أنواع المستحبات[4]. وإذا كان المندوب لا يعاقب تاركه، فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون في أدائه، أو يقصر في الإتيان به.

والمندوبات ذات مفهوم واسع، تشمل أفعال الخير سواء أكانت من قبيل نوافل الصلاة والصيام والحج والعمرة وغيرها، أو كانت من قبيل الإحسان إلىٰ الغير، وتُعد متممة للواجبات الشرعية، فهي خادمة للواجب وحمىٰ له، بل تشكّل ضمانا للمحافظة والمداومة عليه، يقول الإمام الشاطبي: (المندوب إذا اعتبرته اعتبارا أعم وجدته خادما للواجب، لأنه إما مقدمة له، أو تذكارا له به سواء أكان

(١) ـ ابن عبد السلام، قواعد الأحكام، ج: ٢، ص: ٧١.

(٢) ـ ابن عبد السلام، المصدر نفسه، ج: ١، ص: ٠٨.

(٣) ـ الغزالي، المستصفىٰ، ج: ١، ص: ٧٥ – الآمدي، الإحكام، ج: ١، ص: ١٠٣ – ابن جزي، تقريب الوصول، ص: ١٠٠ – الشوكاني، إرشاد الفحول، ص: ٠٦ – ابن قدامة، روضة الناظر، ص: ٢٠.

(٤) ـ الغزالي، المستصفىٰ، ج: ١، ص: ٧٥ – الآمدي، الإحكام، ج: ١، ص: ١٠٣ – ابن قدامة، روضة الناظر، ص: ٢١.

من جنسه واجب أم لا)[1].

وأفعال الخير المندوبة علىٰ مراتب من حيث الترغيب في فعلها ومن حيث أثرها الاجتماعي، فكل ما عظمت مصلحته الدينية أو مصلحته الاجتماعية عظم ثوابه، وهذا الذي يُستشفّ من جواب الرسول ﷺ لأحد الصحابة، فعن رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «**سَلْ**»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ، بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[2]، وأيضا الفضل الذي منحه النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه نظير قيامه بعمل خيري عظيم، فعن عُثْمَان قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ**» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه[3]، وجعلها للغني والفقير وابن السبيل، وفي قوله ﷺ: «**من جَهَّزَ جيشَ العسْرَة فَلَهُ الجنَّة**»[4]، فجهَّز عثمان رضي الله عنه الجيش بتسعمائة وخمسين بعيرًا وبخمسين فرسًا، قال ابن إسحاق: أنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقال النبي ﷺ حينها: «**ما ضَرَّ عُثْمَان مَا عَمِل بَعْد اليوم**» مرتين[5]؛ ذلك أن هذه الأعمال الخيرية التي قام بها عثمان رضي الله عنه ونال بها الفضل العظيم، تتعلق بمصلحة عامة للمسلمين.

ومندوبات الخير واسعة جدا لا حصر لها، سعة مصالح الحياة ومتطلباتها، وهي لا تقتصر علىٰ نوافل الصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن، بل تَسَعُ

(١) ـ الشاطبي، الموافقات، ج: ١، ص: ١٥١.

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، بَاب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، رقم: ٧٥٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب في الشرب، وعنون به الباب، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عثمان.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان أبي عمر القرشي

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم: ٣٧٠١.

مجالاتِ الخير كلَّها، وليس لها وقت محدد، ولا زمن معين. والمكلف مطالب بفعلها بحسب وسعه وقدرته، لأن العبرة بحصول فعل الخير من مجموع أفراد الأمة. لكن هذه المرتبة من الخير قد ترتقي إلىٰ مستوىٰ المندوب المؤكد أو المندوب الكفائي بحسب احتياجات المجتمع الملحة وظروفه الطارئة وأحوال أفراده الحرجة.

وقد أرشدت السنة إلىٰ بعض مجالات الخير المندوبة لا علىٰ سبيل الحصر للتنبيه إلىٰ سعتها وكثرتها، منها ما ورد عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(١)، وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَىٰ نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَىٰ مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ**»(٢)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»(٣).

---

(١) رواه البخاريُّ، كتاب الصلح، رقم: ٢٥٦٠، وفي كتاب الجهاد والسير، رقم: ٢٩٨٩ – ومسلم، كتاب الزكاة، رقم: ١٠٠٩.

(٢) أَخْرَجَه الْبَزَّارُ فِي "مُسْنَدِهِ" (ح٧٢٨٩)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ" (١/ ٣٦٦)، والْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" (٥/ ١٢٢/ ٣١٧٥) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَانِئٍ النَّخَعِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْعَرْزَمِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ. وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح الجامع برقم: ٣٥٩٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب النفقات، رقم: ٥٠٣٨ – ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب الإحسان علىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، رقم: ٢٩٨٢

ثانيا
حفظ الفرد مقصد شرعي عظيم

إن الشريعة الإسلامية جاءت من أجل تحقيق مصلحة العبد في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، وإنه لا يتأتىٰ للناس أن تتحقق مصالحهم إلا إذا كان هناك فرد صالح مهيأ لأن يحقق العبودية الخاصة للخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، عن طريق تطبيق أحكامه الشرعية، قال ابن القيم: (إن الشريعة مبناها وأساسها علىٰ الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلىٰ الجور وعن الرحمة إلىٰ ضدها، وعن المصلحة إلىٰ المفسدة، وعن الحكمة إلىٰ العبث، فليست من الشريعة وأن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه و ظله في أرضه و حكمته الدالة عليه)[1]، وقال الشاطبي: (أن وضع الشريعة إذا سلم أنها لمصالح العباد، فهي عائدة عليهم بحسب أمر الشارع، وعلىٰ الحد الذي حده لا علىٰ مقتضىٰ أهوائهم وشهواتهم)[2]، وقال: (وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل)[3]، ويقول الغزالي: (فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكن نعني بالمصلحة المحافظة علىٰ مقصود الشارع، ومقصود الشارع من الخلق خمسة، وهي أن

(١) ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج: ٣، ص: ١٤ و ١٥.
(٢) الشاطبي، الموافقات، ج: ٢، ص: ٢٨٨.
(٣) انظر الشاطبي، الموافقات، ج: ٢، ص: ٠٧.

يحفظ لهم دينهم وأنفسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم. وكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوتها فهو مفسدة ودفعها مصلحة)(١).

فالإنسان هو المخاطب بأحكام التكليف الشرعي، ومأمور أن يقوم به عن طواعية واختيار بعيدا عن أهواء النفس، كما هو عبد لله تعالىٰ بأصل الخلقة، قال الشاطبي: (المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتىٰ يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد لله اضطرارا)(٢). فالخطاب الشرعي موجه إلىٰ كل فرد دون استثناء، أو تمييز بين حاكم أو محكوم، أو تفرقة بين فاضل ومفضول، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، وقال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران:١٩٥].

وقد جعلت الشريعة من أحكامها التشريعية بمراتبها الخمس من وجوب وندب وتحريم وكراهية وإباحة آليات ووسائل عملية لحفظ الفرد من الشرك في العبادة ومن الانحراف في السلوك، حتىٰ يكون فردا صالحا ومواطنا فاضلا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فنجد الكثير من النصوص القرآنية تخاطب الفرد الذي يعيش في وسط الجماعة بضرورة الابتعاد عن مفاسد الأخلاق وسفاسف الأمور التي تفسد

(١) أبو حامد الغزالي، المستصفىٰ من علم الأصول، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ج١، ص: ٢٨٦

(٢) الشاطبي، الموافقات، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

المجتمع وتنشر الرذيلة فيه حتىٰ تكون العلاقات الاجتماعية قائمة علىٰ التعاون والأخوة المتبادلة[1]، كما توعّد القرآنُ أولئك الأفراد الذين يعملون علىٰ نشر الرذائل في المجتمع وتأجيج الشهوات فيه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

إن الإسلام يعتبر أن صلاح الفرد واستقامته في عبادته وأخلاقه وسلوكه هو صلاح للجماعة والأمة، وأن الإصلاح العام إنما ينطلق من إصلاح كل فرد مسلم لنفسه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. ومن هنا كان النبي ﷺ وهو المربي القدوة يتابع سلوك كل فرد من أفراد صحابته الكرام ويوجه لهم النصائح والتوجيهات ويحثهم علىٰ الخير، ويحذرهم من التشدد والتنطع في الدين، فعن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].

(١) انظر الآيتين ١١ و ١٢ من سورة الحجرات.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج: ٧، ص: ٠٢ – وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، ج: ٤، ص: ١٢٩.

وقد سمع ﷺ أن أحد الصحابة الشباب قد شدّد علىٰ نفسه في العبادة فنصحه بطريقة تربوية حكيمة، فعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاص قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَبْدَ الله، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتقُومُ اللَّيْلَ؟**»، قُلْتُ: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَلا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِذَا ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**»(١).

وسعد بن أبي وقاص لما أراد أن يتصدق بكل ماله في الخير نصحه النبي ﷺ أن يتصدق منه في حدود الثلث حتىٰ لا يضر بمن هم تحت نفقته، فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص عَنْ أَبِيه رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لاَ فَقُلْتُ: الشَّطْرِ؟ فَقَالَ: لاَ ثُمَّ قَالَ: الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ...)(٢).

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، رقم: ١٨٧٤.

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب الوصية، رقم: ١٤٩٥.

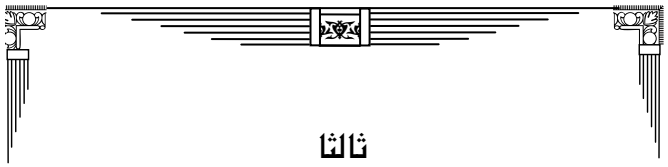

ثالثا

الإنسان مصدر الطاقة والعمل والتغيير

القرآن الكريم عندما يتحدث عن العمل والتأثير في الأرض بالخير والشر يُرجِع ذلك إلىٰ عمل الإنسان وحركته، ويخاطبه بصيغة المفرد، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]، كما أن القرآن أرشد إلىٰ أن تعمير الأرض بالخير والصلاح متوقف علىٰ فعل الإنسان وجهده الإيجابي، قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وعمل الفرد واجب أخلاقي وديني وحضاري، وله مسؤولية تجاه أمته، فعمله مع مجموع عمل الكل له أثره وتأثيره في خدمة الأمة وبنائها، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠]، فجميع أفراد الأمة يشكلون وحدة مترابطة متعاونة يكمل بعضهم بعضا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وعمل الفرد رغم أهميته محدود، وهو بحاجة إلىٰ تنسيق الجهود والتعاون مع غيره. فالمبادرات الفردية المختلفة والموزعة هنا وهناك في مجالات الخير المتنوعة يكون لها الأثر العميق في خدمة الصالح العام وتحقيق النفع الواسع إذا تكاملت وتعاون أفرادها ونسقوا جهودَهم، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢]، وقال جلّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣]، أي التعارف الذي يثمر التعاون والاحترام المتبادل وإلا لا قيمة للتعارف.

فالأصل في الفرد المسلم أن تتسم حياته بالإيجابية[١] التي تعني العطاء والبذل الذي لا يَنتهي، بل تَبرز أهميتها في أن يكون الفرد مبادرًا بالأعمال، ويكون فيها في قمَّة التفاؤل والحيوية بعيدًا عن اليأس والإحباط والقنوط، يمدّ يد العون للآخرين وفق الظروف المتاحة وفي الوقت المناسب، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ: «**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير النَّاس أنفعهم للنَّاس**»[٢]، وهذا الحديثُ يُشيرُ إلىٰ نفع الناس أجمعين، وليس نفع المسلمين فقط، وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: لَدَغَتْ رَجُلًا مِنَّا عَقْرَبٌ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْقِي، قَالَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»[٣].

والنبي ﷺ ضرب المثل الأعلىٰ في الفعالية الاجتماعية، و قمة في الإيجابية والمبادرة إلىٰ فعل الخير، فكان يسعىٰ إلىٰ تقديم الخدمة لمن يحتاجها،

(١) عبد الستار المرسومي، ركائز العمل المؤسساتي في الإسلام، مقال منشور في http: //www.alukah.net/sharia/

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، رقم: ٥٩٤٩، وحسَّنَه الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة، رقم: ٤٢٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، رقم: ٤٠٨٣.

والنصيحة لمن يطلبها، والمنفعة لمن يستحقها، بمبادرة منه وحرص من طرفه. فلم يكن منطويا ولا انعزاليا، بل كان يشارك قومه آلامهم وآمالهم، فكان رجل المواقف والمبادرات وإيجاد الحلول، قبل البعثة وبعدها، وقد شهد بذلك زوجُه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فحين نزل الوحي علىٰ النبي ﷺ وخشي علىٰ نفسه، قالت له: «**كلا والله ما يُخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ**[1]، **وتكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتُعين علىٰ نوائب الحق**»[2]، وكان ﷺ نبيلا سخيا كريما يسعىٰ في الخير ويتصيد فرصَه، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: «**كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيُدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المُرسَلة**»[3]، وكان ﷺ ينصح الفرد المسلم بالإيجابية الاجتماعية وعدم السلبية، حيث قال: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ**»[4]، وقال الصنعاني: (فيه أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن

(١) جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري: "تحمل الكَلَّ: أي مَن لا يقدر علىٰ العمل والكسب، وقال المصنِّف: الكَلُّ العيال، وهو أحد معانيه ويطلق علىٰ الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ، وأصله من الكلال: وهو الإعياء، ثم استعمل في كل أمر ضائع أو أمر مثقل ومنه قوله: "مَن ترك كلاً" أي عيالاً أو دَينًا."

(٢) صحيح البخاري – باب بدء الوحي

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، رقم: ٠٦، الحديث أورده البخاري في خمسة مواضع من صحيحه هذا أحدها، والثاني في كتاب الصيام، والثالث في كتاب بدء الخلق، والرابع في كتاب المناقب، والخامس في كتاب فضائل القرآن – وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، رقم: ٢٣٠٨.

(٤) رواه الترمذي، رقم: ٥٢٠٧، وابن ماجه، رقم: ٤٠٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: ٢٠٣٥.

معاملتهم فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر علىٰ المخالطة)[1].

فتميز الفرد إنما بعمله ومواقفه وحسن تعاونه وما يقدمه للآخرين، فعن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**[2]»[3]، ولفظ «**الراحلة**» في الحديث دليل علىٰ تميزها عن غيرها من الإبل، فهي تحمل الأمتعة والغذاء، وغيرها من منافع المسافرين وحاجاتهم، وهكذا ينبغي أن يكون الفرد إيجابيا في مجتمعه، فيكون في خدمته، ويقدم له ما ينفعه، ومن كان هذا شأنه عادة ما يكونون قلة بين الناس، والكل يعول عليه.

(١) الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٢، ج: ٤، ص: ٢٨٤.

(٢) الراحلة: الناقة أو البعير القوي في الأسفار الذي يَحمِل الأمتِعَة، والمراد من الحديث: إنَّ القليل من الناس من يتمتَّع بالصفات القيادية والإيجابية واستكمل المحاسن، ممن يصلح لنفع وقيادة الناس.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم: ٦١٣٣، واللفظ له – ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم: ٤٧٤٨، ولفظ مسلم: «**تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً**»

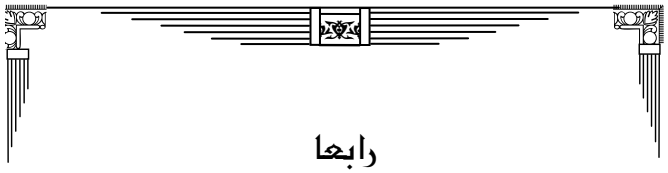

رابعا

دور العمل الخيري في حفظ مقاصد الكليات الضرورية[1] على المستوى الفردي

والمقاصد الضرورية هي أعلىٰ أنواع المصالح، وهي تشمل مصالح الدنيا والآخرة. وإن التهاون في تحصيل هذه المقاصد يعرض الأمة الإسلامية في الدنيا إلىٰ فساد عظيم، وخسران مبين في الآخرة.

ونظرا لعظمة مرتبة المصالح الضرورية وخطورة التقصير في أدائها، فإن مسؤولية إقامتها وحفظها تقع علىٰ الفرد والجماعة معا[2]. وهذه المقاصد الضرورية من الأصول العامة للشريعة ومقاصدها، وحفظها هو حفظ لأصول الشريعة وفروعها، وقد اتفقت كلمة جمهور العلماء علىٰ أن الكليات التي أوجبت

(١) ـ ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٧٩.

(٢) وعرفها الإمام الشاطبي بقوله: (فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين و الدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا علىٰ استقامة بل علىٰ فساد و تهارج و فوت حياة، و في الأخرىٰ فوت النجاة و النعيم و الرجوع بالخسران المبين) [الشاطبي، الموافقات، ج: ٢، ص: ٠٨]، وعند الإمام ابن عاشور هي: "فالمصالح الضرورية هي التي تكون الأمة بمجموعها و آحادها في ضرورة إلىٰ تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام بإطلالها بحيث إذا نخرمت تؤول حالة الأمة إلىٰ فساد وتلاش)[ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨٠].

الشريعة المحافظة عليها خمسة، وهي: الدين، النفس، العقل، النسل، والمال[1]، وهي أساس قيام حياة البشر، واستقامة معاشهم، وسلامة نظامهم، وهو ما عبر عنه الآمدي بقوله: (فإن حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات، وهي أعلىٰ مراتب المناسبات، والحصر في هذه الخمسة أنواع إنما كان نظرا إلىٰ الواقع والعلم بانتفاء مقصد ضروري خارج عنها في العادة)[2].

وقد اعتنت الشريعة الإسلامية بحفظ الكليات الضرورية عناية شديدة، ويتجلىٰ ذلك من خلال الأحكام الكثيرة التي شرعتها، أولا بحفظها من جانب الوجود، بما يقيم أركانها ويثبت قواعدها حتىٰ تكون موجودة وجودا ماديا مجسدة في واقع الناس، مؤدية لوظائفها، وذلك بالامتثال لكل الأحكام التكليفية التي أناطها الشارع الحكيم بكل كلية علىٰ حده. والثاني بحفظها من جانب العدم، بما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، بالمحافظة عليها من الضياع والتلف، وقد وضعت الشريعة من الأحكام المختلفة الكفيلة بدرء المفاسد عنها ويكون ذلك بفعل المكلف عن طريق التزامه باجتناب ما نهىٰ الله عنه[3].

١ - دور العمل الخيري في حفظ مقصد تدين الفرد:

حفظ دين كل فرد مقصود بالقصد الأول، وهو أصل ما دعا إليه القرآن والسنة و هو أول ما نزل بمكة[4]، والدين راجع إلىٰ التصديق بالقلب والانقياد بالجوارح[5]. ولضمان تحقيق حفظ الدين جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة

(١) ـ الشاطبي، الموافقات، ج: ١، ص: ٣٨و٣٩.
(٢) ـ الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج: ٣، ص: ٢٤٠و٢٤٥.
(٣) الشاطبي، الموافقات، ج: ٢، ص: ٠٨.
(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٧.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٤٩.

من الأحكام، والتصرفات الشرعية، التي تجسد معنىٰ الدين في حياة الناس.

فالعمل الخيري الذي يتطوع به الأفراد الميسورون يسهم في تقوية التزام الفرد بدينه، بتمكينه بأداء الفرائض التي لها آثار طيبة في تعزيز تدينه وتقوية استقامته. ومن جملة أعمال الخير إقامة مؤسسات خيرية لتحفيظ القرآن، وبناء المساجد، ومراكز تعليم العقيدة وأحكام الدين ودفع الشبهات، وترسيخ قيم الوسطية والاعتدال لدىٰ الشباب خاصة، فأغلب انحرافات الفرد تأتي من تأثيرات الجماعات المتطرفة التي تتبنىٰ قيم وقناعات دينية شاذة، وتستبيح حرمات المجتمع بمبررات دينية، وتستغل الفراغ وعدم قيام المؤسسات العلمية والإعلامية بدورها التعليمي والتحسيسي والتوعوي. فينبغي أن ينصب جهد الجميع علىٰ التصدي لذلك بالعلم الصحيح والتوعية السليمة، وتعليم أحكام الدين الوسطي، وإصدار مطويات وكتيبات سهلة الأسلوب مشبعة بأدلة من القرآن والسنة وتوزع مجانا، تنشر الوعي، وتحفظ للفرد دينَه وتُبعدُه عن التطرف والعنف، وتحصّنُه فكريا حتىٰ لا ينساق وراء الأفكار الضالة المضلة.

٢ - دور العمل الخيري في حفظ نفس الفرد:

النفس الإنسانية معصومة في جانبها المادي والمعنوي، وقد كفلت الشريعة الإسلامية للذات البشرية الحفظ والكرامة والصون فلا يجوز المساس بها إلا بوجه حق. وقد وضعت من التشريعات ما تكفل به حفظ النفس.

وحفظ النفس أكّد عليه الإسلام منذ بداية نزول الوحي بمكة، لأنه يسعىٰ لحفظ الفرد في بدنه، فيكون قويا يقيم الفرائض، ويسعىٰ في الخير، وينفع مجتمعه، ويقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض، إمضاءً لسنة الابتلاء التي قام عليها التكليف الشرعي، وعليه فلا يجوز لأي فرد أن يضر بنفسه، ولا أن يلقي بها إلىٰ التهلكة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، ولا يجوز لغيره أن يضر به

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، بل إن الشريعة أباحت تناول الحرام عند الضرورة حفظا للنفس، ومن هنا كان حق الحياة من أعظم الحقوق التي راعتها الشريعة، يقول فتحي الدريني: "ولهذا كان حق الحياة هو أعظم حقوق الإنسان قيمة، وأعلاها شأنا، وأعظمها أثرا، ملحوظا فيه المعنىٰ الاجتماعي والديني، فهو حق وواجب معا في نظر الإسلام"(١).

والعمل الخيري يقوم بدور عظيم في حفظ نفس الفرد وبدنه، عن طريق الإحسان والإنفاق وبرامج الإغاثة في توفير المأكل والمشرب والملبس والمسكن والعلاج، وكتنظيم حملات التبرع بالدم، والتحسيس بأهمية التبرع بالأعضاء البشرية. فالفقر والاحتياج والبطالة والأمراض تدفع الفرد إلىٰ الانحراف والسرقة، وقد يكون لقمة سائغة للانتماء إلىٰ التنظيمات المتطرفة وحركات التنصير التي تقوم بإشباع حاجاته المادية والمعنوية.

والمجتمع بحاجة إلىٰ كل طاقة بشرية فيه دون استثناء، لأن كلا منها تتميز بمواهب لا توجد عند غيرها، فلا يمكن الاستغناء عنها جميعا، فوجود نفوس سليمة صحيحة هي سلامة للمجتمع ككل، يقول ابن عاشور: "لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم"(٢).

إن الشريعة الإسلامية حرمت المساس بالذات الإنسانية في حق الفرد، وفي حق الجماعة، وهي مسؤولية فردية بالدرجة الأولىٰ، لكن الجماعة أيضا مطالبة بأن تصون نفس كل فرد فيها، لعموم قوله تعالىٰ السابق الذكر: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١].

(١) فتحي الدريني، دراسات وبحوث، ج: ١، ص: ٧٣.

(٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨٠.

فالأعمال الخير التي يتبرع بها المحسنون سواء بشكل فردي أو عبر مؤسسات منظمة يمكن أن تقدم خدمات صحية وعلاجية للفقراء والمعوزين والشباب البطال، وقد رأينا كيف أن حركات التبشير تذهب إلىٰ دول إفريقية و آسيوية التي يتواجد فيها المسلمون والذين يعانون من الفقر وسوء التغذية ونقص العلاج، فتقدم لهم خدمات صحية ومساعدات غذائية مقابل الدخول في المسيحية، فالأولىٰ فبهذا الإحسان والدعوة هم المسلمون الذين يفوزون بأجر الدنيا والآخرة.

٣ – دور العمل الخيري في حفظ العقل:

العقل أساس إنسانية الإنسان، و قوام فطرته، وهو أغلىٰ ما يملكه الإنسان، وهو من مظاهر التكريم الرباني للإنسان. وبه صار قويا يسخر المخلوقات من الحيوانات والجمادات لنفعه وفائدته، ويتغلب علىٰ الصعاب والعقبات التي تعترض طريقه ومصالحه. وقد جعلته الشريعة الإسلامية مناط التكليف والمسؤولية في العبادات والمعاملات وجميع التصرفات، فلا تكليف، ولا مسؤولية لفاقد العقل. وبالعقل يكون الابتكار والإبداع والاستكشاف، الذي به يُحسن الإنسانُ تدبيرَ معاشه وشؤون حياته، ومنه ينطلق الرقي والتحضر للأمم والشعوب.

والعقل ليس حقا خالصا لصاحبه يفعل به ما يشاء، فالجماعة تشاركه في ذلك الحق، لأن نفعه لا يعود علىٰ صاحبه وحده، بل تتعدىٰ آثاره إلىٰ الغير. لذلك وجب علىٰ الأمة أفرادا وجماعات المحافظة عليه، فوجب حفظ كل عقل من عقول أفرادها، لحاجة الأمة إلىٰ كل عقل من عقول أبنائها، فكل عقل له مجال ابتكاره وإبداعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ كلما كثرت العقول السليمة في الأمة، استقامت أحوالُها، و تنظمت شؤونُها، وساهمت كلها في إمدادها بالخير والصلاح. فإضلال العقول معناه فساد التفكير، الذي يترتب عليه اختلال السلوك،

واعوجاج الأعمال، وهو ما يعود بالضرر علىٰ الفرد نفسه، وعلىٰ الأمة ككل.

ومن هنا أوجبت الشريعة الإسلامية المحافظة علىٰ نعمة العقل، وعدم تعريضه للتعطيل أو التلف(١)، ومراعاته، وصيانته وجودا وعدما، لأن العقل هو أساس الإدراك وفهم الدين، ومراعاته و صيانته وتوسيع مداركه بالتكوين وتغذيته بالعلم النافع والعمل الصالح(٢). وقد بين الشاطبي أن الشريعة نبهت إلىٰ حفظ العقل منذ بداية نزول الوحي بمكة، فقال: "وأما العقل فهو وإن لم يرد تحريم ما يفسده و هو الخمر إلا بالمدينة(٣) فقد ورد في المكيات مجملا؛ إذ هو داخل في حرمة حفظ النفس، كسائر الأعضاء، و منافعها من السمع و البصر و غيرها"(٤)، بل إن ما يزيل العقل رأسا يُعد مزيلا لجزء من الإنسان، فحرمة حفظ النفس كُليٌّ يندرج فيه إجمالا حفظ العقل نفسه، وكذا حفظ منفعته، فما يزيل منفعته ولو لحظة منهي عنه كمزيل منفعة أي عضو من الجسم، أو تعطيله لحظة(٥).

والعمل الخيري وسيلة لحفظ العقل، فمشاريع الخير المنظمة يمكن أن تحتضن الفردَ فتبعده عن تناول المسكرات والمخدرات التي تعطل العقل وتدفعه لارتكاب سلوكات خاطئة في المجتمع، وذلك بإنشاء مراكز لاستقبال المدمنين وعلاجهم، والقيام بحملات التحسيس والتوعية ضد مخاطر المخدرات والحشيش التي قد تفوق أضرارُها مفاسدَ الخمر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مجيبا لمن سأله عن حكم تناول الحشيش: (هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء

(١) بن زغيبة، المقاصد العامة، ص: ١٦٤.

(٢) أبو هشام الدين محمد حسين، التوضيحات الأولية، ص: ٤٠.

(٣) لأن آيات التحريم و آيات التمهيد كلها وردت في المائدة و النساء و البقرة و كلها مدنية.

(٤) الشاطبي، الموافقات، ج: ٣، ص: ٤٧و٤٨.

(٥) عبد دراز، هامش كتاب الموافقات، ج: ٣، ص: ٤٧و٤٨.

سكر منها أو لم يسكر. والسكر منها حرام باتفاق المسلمين)[1]، ونقل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن ابن حجر الهيثمي تحريمها عند الأئمة الأربعة فقال: (فثبت بما تقرر أنها حرام عند الأئمة الأربعة: الشافعية والمالكية والحنابلة بالنص والحنفية بالاقتضاء)[2]، وقال ابن حجر في الزواجر: (وحكىٰ القرافي وهو من أئمة المالكية وابن تيمية الإجماع علىٰ تحريم الحشيش)[3]. و يقول ابن عاشور في معنىٰ حفظ العقل: "حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خلل، لأن دخول الخلل علىٰ العقل مؤد إلىٰ فساد عظيم من عدم انضباط التصرف، فدخول الخلل علىٰ عقل الفرد مفض إلىٰ فساد جزئي، ودخوله علىٰ عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم، ولذلك يجب منع الشخص من السكر ومنع الأمة من تفشي السكر بين أفرادها، و كذلك تفشي المفسدات مثل الحشيشة والأفيون والمورفين و الكوكايين و الهروين، ونحوها مما كثر تناوله في القرن الرابع عشر الهجري"[4].

ويمكن أن يُسهم العملُ الخيري في إنشاء مدارس ومراكز وإعداد برامج لتيسير سبل العلم و المعرفة و توفير وسائلها و تنمية التفكير، وتوفير القدر الضروري من العلم لكل فرد، ومحو الأمية، حتىٰ يصان عقل كل فرد في الأمة، وتصان قوة الإدراك لديه، وتؤمن مسالك فهم الدين والحقائق والمعارف العامة[5].

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوىٰ، ج: ٥٦، ص: ٢٢٤.
(٢) فتاوىٰ ورسائل، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ج: ١٢، ص: ١٠٢.
(٣) ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج: ١، ص: ٢١٣.
(٤) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨٠.
(٥) ابن زغيبة، المقاصد العامة، ص: ١٦٤.

فأعمال الخير التي يقوم بها المحسنون من الأمة لإنشاء مراكز للتعليم ومحو الأمية والتثقيف وتنمية التفكير الحر لدىٰ الطفل والشاب ينبغي أن تُشجّع ويُكثرُ منها، حتىٰ تنطلق عقولهم في إنتاج المعرفة والإبداع والاكتشاف والاختراع، وكل ذلك يسهم في تطور الأمة وازدهارها، وتكون تلك الأعمال الخيرية تحت إشراف مختصين مؤهلين، ويكون هذا العمل ذا أولوية لحفظ العقل المسلم، والرقي به، والوقوف ضد مخططات إفساد العقول وتعريضها للآفات والتشويش عليها بالأفكار الضالة.

٤ - دوره في حفظ نسل الفرد:

و هناك من يعبر عنه بحفظ النسب، وقد اعتبر ابن عاشور أن التعبير بأحد اللفظين يغني عن الآخر ويحمل المدلول نفسه(١)، والمقصود بالمحافظة علىٰ النسل بقاء وجود الإنسان علىٰ وجه الأرض، وهذا مقتضىٰ فطرته، وحافز نشاطه، حتىٰ يندفع إلىٰ العمل ولا يتقطع فيه الأمل، وهو ضمان لاستمرار ذريته وعائلته بعده(٢)، لذا أوجبت الشريعة الإسلامية الاعتناء به ورعايته وصيانته منذ أن يكون جنينا في بطن أمه إلىٰ أن يصير كبيرا، ويقضي أجله الذي كتبه الله تعالىٰ له في هذه الحياة(٣)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، ومن السنة، سئل رسول الله ﷺ عن أي الذنوب أكبر فقال: «**أن تدعو الله ندا و هو خلقك**»، قيل ثم أي قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**»، قيل ثم أي قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»(٤).

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨١.

(٢) ابن زغيبة، المقاصد العامة، ص: ١٦٦.

(٣)- أبو هشام الدين محمد حسين، التوضيحات الأولية، ص: ٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، صحيح البخاري، =

ومن وسائل حفظ النسل ترغيب الشريعة في الزواج وخصت الشباب بالخطاب، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١)، ودعت عموم المسلمين إلىٰ تكثير الأولاد باختيار المرأة الولود(٢)، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَانَا عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا وَيَقُول: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

والعمل الخيري مهم جدا في حفظ نسل، بمساعدة الفرد علىٰ الزواج، وتجهيز بيته، لتحصينه من الفساد؛ فيلاحظ في بعض المجتمعات العربية عجز الكثير من الشاب عن الزواج لارتفاع تكاليفه وغلاء المهور، وهو ما يؤدي إلىٰ ارتفاع نسبة العنوسة في المجتمع، وبخاصة عند النساء، وفساد أخلاق الفرد وانتشار آفة الزنا المدمرة لمقصد النسل التي شدد الشرع في تجريمها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢] ، فقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾ يمكن أن يُجسّد في شكل برامج ومساعدات تحقق مقصده الشرعي.

=

ج: ٧، ص: ٧٥ – وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، صحيح مسلم، ج: ١، ص: ٥٠.

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصُم، رقم: ٤٧٧٩، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم: ١٤٠٠.

(٢) جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة، ص: ١٠٦.

(٣) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد، وصححه الألباني في كتابه صحيح الترغيب والترهيب، وابن حبان في "صحيحه، رقم: ١٢٢٨، وأحمد (٣/ ١٥٨و٢٤٥)، والطبراني في "الأوسط" (١/ ١٦٢)، والبيهقي (٧/ ٨١و٨٢).

فعزوف الشباب عن الزواج واستبداله بالعلاقات غير الشرعية يؤدي إلىٰ مفاسد عظيمة، منها كثرة الأولاد غير الشرعيين، والحصول علىٰ الولد خارج العلاقة الزوجية، وفقدان الزواج لأهميته الشرعية والاجتماعية(١)، كما هو مشاهد في أوروبا وأمريكا، وذلك يؤدي إلىٰ عدم تحمل الفرد لمسؤولية القيام برعاية الأولاد، وعدم الإنفاق عليهم، فضلا عن انفكاك أواصر القرابة، وانقطاع صلة الرحم بين القرابة، وقلة التعاون بينهم، قال ابن عاشور مؤكدا ذلك: (ولكن في هذه الحالة مضرة عظيمة، وهي أن الشك في انتساب النسل إلىٰ أصله يزيل من الأصل الميل الجبلي الباعث عن الذب عنه، والقيام عليه بما فيه بقاؤه وصلاحه وكمال جسده وعقله بالتربية، والإنفاق علىٰ الأطفال إلىٰ أن يبلغوا مبلغ الاستغناء عن العناية، و هي مضرة لا تبلغ مبلغ الضرورة لأن في قيام الأمهات بالأطفال كفاية ما لتحصيل المقصود من النسل، وهو يزيل من الفرع الإحساس بالمبرة والصلة والمعاونة والحفظ عند العجز)(٢)، ثم قال ابن عاشور: (ولكنه لما كانت لفوات حفظه من مجموع هذه الجوانب عواقب كثيرة سيئة يضطرب لها أمر نظام الأمة، وتنخرم بها دعامة العائلة اعتبر علماؤنا حفظ النسب من الضروري لما ورد في الشريعة من التغليظ في حد الزنا، وما ورد عن بعض العلماء من التغليظ في نكاح السر و النكاح بدون ولي بدون إشهاد)(٣).

كما يمكن للعمل الخيري أن يسهم في إنشاء لجان الصلح والوساطة بين الأزواج عند النشوز والإعراض والخلاف للتقليل من نسبة الطلاق في المجتمع، والذي له آثاره الخطيرة في تفكيك الأسرة، وتشريد الأولاد وضياعهم، وانقطاع

(١) ابن زغيبة، المقاصد العامة، ص: ١٦٧ – أبو هشام، التوضيحات الأولية، ص: ٤٤.
(٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨١.
(٣) المصدر نفسه.

الإنجاب، تجسيدا عمليا لما أوصىٰ به النبي ﷺ، فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال إصلاح ذات البين**»(١).

٥ - دوره في حفظ مقصد حفظ مال(٢) الفرد:

والمال اسم جامع ينطبق علىٰ كل ما هو صالح للامتلاك مما لا يمكن حصره، لأنه وسيلة الحياة في هذه الدنيا. ولأهميته قدّمه الله تعالىٰ في الجهاد علىٰ النفس، فقال: ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ [التوبة: ٢٠]. كما أعطت الشريعة الإسلامية قيمة كبيرة للمال، وجعلته كلية ضرورية، وضبطته بأحكام و تشريعات مختلفة لحمايته وضمان تداوله بين الناس علىٰ الوجه المشروع. ذلك أن المال هو عصب الحياة و قوامها، وبه يكون المعاش والاسترزاق والنشاط المختلف، وعلىٰ أساسه يتبادل الناس المنافع، وتتوطد العلاقات، فينتفع بعضهم من بعض.

وللشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشارة لطيفة، فقد قال عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ﴾ [الأنعام:١٥٢] "مال المرء قطعة من بدنه ويدافع عنه كما يدافع عن نفسه، وله قوام أعماله في حياته، فالأمور مقرونة بالنفوس كما في الاعتبار، فقرنت في النظم

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، رقم: ٤٩١٩ – والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥٠٩. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٢٥٩٥

(٢) عرّف الشاطبي المال بأنه: (ما يقع عليه الملك و يستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه (الطرق المشروعة) و يستوي في ذلك الطعام و الشراب و اللباس علىٰ اختلافها، وما يؤدي إليها من جميع المتمولات، فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء) الشاطبي، الموافقات، ج: ٢، ص: ١٧.

أية حفظ الأموال بآيات حفظ النفوس[1]، كما قرن بينهما النبي ﷺ في قوله: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**[2]»[3].

فالعمل الخيري يمكن أن يسخر في حفظ مال الفرد وحمايته وتنميته وترشيد إنفاقه، فرغم ملكية الفرد للمال ملكية خاصة، إلا أنه تعلّق به حقُّ المجتمع الذي هو عادة ما يُنسب إلىٰ حق الله تعالىٰ. ويكون ذلك بإطلاق حملات التوعية والتحسيس بمخاطر التبذير والإسراف والحث علىٰ الإنفاق وأنواع التبرع، تحقيقا لمقصد حسن التصرف فيه؛ وعدم التبذير والاكتناز تيسيرا لتداوله العادل بين الناس. فتستفيد الأمة كلها من حسن توظيف الأفراد لأموالهم. لهذا كله أوجبت الشريعة علىٰ المؤمنين المحافظة علىٰ المال وارتقت به إلىٰ رتبة الكليات الضرورية[4].

وتمكينا للفرد من ممارسة سلطة ملكيته علىٰ المال[5] و الاستئثار به وتداوله

---

(١) لأن الآية التي قبلها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١].

(٢) أخرجه البخاري عن أبي بكرة، في كتاب العلم، باب رب مبلغ أوعىٰ من سامع، رقم: ٦٥، ورواه أيضا في كتاب الحج، رقم: ١٦٢٣، وفي كتاب المغازي، رقم: ٤٠٥٤، وفي كتاب الأضاحي، رقم: ٥١٢٤، وفي كتاب الأدب، رقم: ٥٥٨٣، وفي كتاب الفتن، رقم: ٦٥٥١، وفي كتاب التوحيد، رقم: ٦٨٩٣، وفي كتاب الحدود، رقم: ٦٢٨٧ – وأخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقسامة والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم: ٣١٧٩.

(٣) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص: ١٣١.

(٤) ابن زغيبة، المقاصد العامة، ص: ١٧٧.

(٥) قال الشاطبي: (وحفظ المال راجع إلىٰ مراعاة دخوله في الأملاك) الشاطبي، الموافقات، ج: ٤، ص: ٢٨.

علىٰ الوجه المشروع، يمكن توجيه إسهامات أهل الخير إلىٰ إنشاء مشاريع لكل فرد راغب في استثمار أمواله بطرق شرعية، وإنشاء مؤسسات صغيرة لفائدة الأفراد لتثمير أموالهم بالمعاملات المالية المشروعة، ويوفرون مناصب شغل للبطالين.

ومنه مساعدة اليتيم الذي ترك له أبوه مالا وهو صغير لا يحسن التصرف في ماله، وقد تستنفذه الزكاة، فتتم مساعدته ومرافقته لتنميته بالاستثمار حتىٰ لا يفنىٰ، فتقوم الجهة الخيرية كجهة آمنة تتوفر علىٰ طرق تسييرية ورقابية مضبوطة وصارمة بمرافقة ولي اليتيم أو وصيه وتعليمه فنيات تسيير ماله واستثماره بطرق آمنة قليلة المخاطر حتىٰ يتنمىٰ وينتفع به عند بلوغ سن الرشد، وهذا تجسيدا لتعاليم القرآن في صون مال اليتيم ومنعا من التلاعب به، قال تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء:٦].

وتبرز في هذا العصر أهمية صيغة الاستثمار في حفظ المال وحمايته، باستثمار رأس المال الذي يملكه الفرد، لكن إذا لم تكن له خبرة في ذلك ضاع ماله دون جدوىٰ اقتصادية ولا ربحية. فتبرز أهمية مساعدة الفرد ومرافقته في استثمار ماله بأساليب وصيغ مباحة ومشروعة تتسم بالكفاءة الاقتصادية وقلة المخاطرة، بما يحقق مصلحة الفرد، ويحافظ علىٰ حقوقه، ويبعده عن شبهة الربا(١).

ويمكن أيضا لمجموعة من المحسنين أصحاب المال إنشاء صندوق أو صناديق وقفية للنقود، توقف فيه أموال، ويوفر تمويلا دائما يمنح قروضا حسنة

(١) كالاستثمار في السندات الربوية.

لكل فرد يريد أن يقوم بمشروع استثماري ربحي يعود عليه وعلىٰ مجتمعه بالنفع العام بعد دراسته من حيث جدواه وأهميته من قبل مختصين[1]، عملا بالاتجاه في الفقه الإسلامي الذي يجيز وقف النقود. ومسائل تسيير الصندوق من قبل إدارة كفأة ورقابة صارمة، ومتابعة محاسبتية ضابطة[2] ليس مجال بسطها هنا.

وفائدة الصندوق الوقفي أنه يحيي سنة الوقف، ومن جهة أخرىٰ يقدم دعما للأفراد، ويسهم في التنمية، ويطور من أسلوب العمل الخيري الجماعي، ويحقق

(١) حسين عبد المطلب الأسرج، بحث: "الصناديق الوقفية كآلية لتمويل وتنمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة" - محمد علي القري، صناديق الوقف وتكييفها الشرعي. منشور في موقع:
http: //www.elgari.com/article81.htm

(٢)- اختلف الفقهاء في وقف النقود، فقال الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي في المعتمد عنده وقول لأحمد، كل ما أمكن الانتفاع به مع بقاء أصله، ويجوز بيعه، جاز وقفه، أما وقف ما لا ينتفع به إلا بالإتلاف كالذهب والفضة والمأكول والمشروب فغير جائز وقفه، والتالي لا يجوز وقف النقود لأنه لا ينتفع بها إلا باستهلاك عينها. وقال المالكية والشافعية في قول، واحمد في رواية: يجوز وقف الذهب والفضة، أىٰ النقود، وصرح المالكية أنه يجوز وقف الدراهم والدنانير لتسلف لمن يحتاج إليها.
هذا وقد أقر مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عمان) ١٤ – ١٩ محرم ١٤٢٥ ه، الموافق ٦ – ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٤م، مشروعية وقف النقود، في القرار رقم: ١٤٠ (٦/ ١٥). محمد علي القري، صناديق الوقف وتكييفها الشرعي - محمد الزحيلي، الصناديق الوقفية المعاصرة: تكييفها، أشكالها، حكمها، مشكلاتها، ص ٢٨- ٢٩. منشور في موقع:
http: //www.kantakji.com/fiqh/Files/Wakf/52054.pdf
- وليد هويمل عوجان، وقف النقود وصيغ الاستثمار فيه. منشور في:
www.kantakji.com/fiqh/Files/Wakf/52075.pdf
محمد نبيل غنايم، وقف النقود واستثمارها، منشور في موقع:
http: //www.kantakji.com/fiqh/Files/Wakf/52076.pdf

مشاركة واسعة من الناس علىٰ اختلاف فئاتهم للإسهام فيه بوقف نقودهم، كل حسب استطاعته، فتجتمع تلك الأموال القليلة بشكل منتظم وبانتظام فتشكل أموالا كثيرة، وبالتالي يسهم الجميع في العمل الخيري المنظم(١).

ومنه قيام الجمعيات الخيرية بحماية المنتج الصغير بمساعدته علىٰ بيع إنتاجه حتىٰ لا يفلس ويخسر أمواله بمساعدته علىٰ التعريف به و بمنتوجه بطرق الإشهار المعروفة، لأن حماية إنتاج المنتجين من الضياع يندرج ضمن مقصد حفظ المال، ولئن كان ذلك مسؤولية الحاكم(٢)، فيمكن لي جهة خيرية أن تقوم بذلك.

ومن مجلات إسهام العمل الخيري في حفظ مال الفرد مجال مهم أشار إليه القرآن الكريم وأكدته السنة النبوية وهو إنفاق العفو أي ما زاد عن حاجة الفرد، قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢١٩] ، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا(٣)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ**»، قَالَ: «**فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا**

(١) حسين الأسرج، بحث: "الصناديق الوقفية كآلية لتمويل وتنمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة"-محمد الزحيلي، الصناديق الوقفية المعاصرة: تكييفها، أشكالها، حكمها، مشكلاتها، ص: ٦و٧.

(٢) ابن زغيبة، المقاصد العامة، ص: ١٧٨.

(٣) أي أن هذا الرجل توقف عندما رأىٰ الناس، وراح يلتفت وينظر في وجوه القوم كأنه يعبر بلسان حاله ويبحث عمن يطعمه أو يعينه مما كان يحتاج إليه، وينتظر من يحسن إليه، فأدرك ذلك منه النبي ﷺ وأمرهم بأن ينفقوا مما زاد عن حاجتهم من أصناف المال.

ذَكَرَ حَتَّىٰ رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ»(١).

فيمكن أن تُؤسّسَ جمعيات خيرية تقوم بمهمة جمع ما زاد عن حاجة الفرد، وما زاد عن حاجة الأسر والناس من الطعام والكسوة والفراش والأثاث والماعون والأدوات وغير ذلك، ثم تنظم وتنظف وتوزع علىٰ المحتاجين من الفقراء والأسر ذات الدخل الضعيف، وبذلك يكون هذا العمل الخيري النبيل قد حافظ علىٰ مال الفرد الزائد عن حاجته من الضياع والتلف والتبذير المنهىٰ عنه شرعا؛ إذ لاحظنا أن الكثير من الأسر لها أغراض وأدوات كثيرة زائدة عن حاجتها مخزنة عندهم معرضة للتلف أو لانتهاء صلاحيتها. فيكون هذا العمل الخيري قد أسهم حقيقة في حفظ المال، الفردي ومنه والعام، من الإتلاف وسوء التصرف والتبذير، لأن هذا المال هو تمليك لأجل أداء وضيفته الاجتماعية تحقيقا لمبدأ التكامل الاجتماعي، قال ابن عاشور: (و أما حفظ المال فهو حفظ أموال الأمة من الإتلاف و من الخروج إلىٰ أيدي غير الأمة بدون عوض، و حفظ أجزاء المال المعتبرة عن التلف بدون عوض)(٢)، وقال الشاطبي: (وحفظ المال راجع إلىٰ مراعاة دخوله في الأملاك و كتنميته أن لا يفنىٰ ومكمله دفع العوارض (بالمحافظة عليه من الإسراف و السرقة و الحرق وسائر متلفاته) وتلافي الأصل بالزجر والحد و الضمان وهو في القرآن والسنة)(٣)، وقال أيضا في موضوع آخر: (و أما المال فورد فيه تحريم الظلم، وأكل مال اليتيم و الإسراف والبغي و نقص المكيال أو الميزان، والفساد في الأرض و ما دار بهذا المعنىٰ)(٤).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، رقم: (١٧٢٨)

(٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨٠.

(٣) الشاطبي، الموافقات، ج: ٤، ص: ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ج: ٣، ص: ٤٨.

خامسا

دور العمل الخيري في إعداد الفرد الاجتماعي

١ - تنمية روح المسؤولية:

الأصل أن الفرد المسلم مسؤول علىٰ نفسه ومسؤول عن غيره، وعليه أن يشعر بالمسؤولية الدائمة تجاه أفراد مجتمعه، وأن يحمل همّ المسلمين، وهذا انطلاقا من قوله ﷺ المشهور: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**». وقد يكون هذا الشعور ضامرا في نفس الفرد فيحتاج إلىٰ من ينمي فيه الشعور بالمسؤولية، وقد يكون فعل الخير وسيلة عملية لتنمية روح المسؤولية في نفوس الأفراد حتىٰ يشعر الفرد بهموم مجتمعه ومعاناة الضعفاء والمحتاجين، كما في الحديث السابق في قوله ﷺ: «**من كان معه فضلُ ظهر فلْيَعدُ به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليَعُد به علىٰ من لا زاد له، وذكر من أصناف المال ما ذكره حتىٰ رأينا أنه لا حَقَّ لأحد منا في فضل**»[1]، فقد كان بإمكان الرسول ﷺ أن يعطي الرجل من بيت المال ما يسد به حاجته، ولكن أراد أن يُشعر الصحابةَ بالمسؤولية تجاه المحتاجين، فيبادر كل منهم بما يستطيع في فعل الخير. وهذا المعنىٰ أكده في قوله ﷺ: «**مَن نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامةِ، ومَن يسَّرَ علىٰ مُعسِرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستَره**

(١) سبق تخريجه.

اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه»(١).

فالفرد المسلم إنما يعبر عن انتمائه لأمته بأن يعيش قضايا عصره، وهموم مجتمعه، وتطلعات أمته، فيسهم بما يستطيع من أجل النهوض بوطنه، ويخفف الآلام عن أفراده، وهكذا النبي ﷺ يخدم المسلمين، ويقضي يومه كله يمشي في حوائجهم، وكان قريبا جدا من الناس(٢)، حتىٰ لقد كان أحدهم يستوقفه في الطريق لساعة طويلة في أمر يخصه والنبي ﷺ يسمع لحاجته، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ، قَالَ: «**إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**»(٣)، أي تطلب مساعدته فيلبي طلبها وينقاد لها بكل تواضع، فتنطلق به ويذهب معها لقضاء حاجتها، ففي رواية عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّىٰ أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّىٰ فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا**»(٤)، وعن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَكَلَّمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَرَّتَيْنِ**»(٥)، بل إنه ﷺ بكثرة انشغاله بقضايا المسلمين في النهار وقضاء حوائجهم كان يصلي في الليل قاعدا من شدة التعب، فقد روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم: ٢٦٩٩.

(٢) وقد عقد مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل بابا بعنوان: "باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم: ٥٧٢٤.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، رقم: ٢٣٢٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، رقم: ٣٥٧٥.

يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: «**نَعَمْ، بَعْدَمَا حَطَمَهُ**[1] **النَّاسُ**»[2].

إن وضع الأمة الإسلامية اليوم وما تعيشه من تخلف يتطلب من كل فرد مسلم أن يبذل ما يستطيع من الخير من تحسين ظروفها ومعيشة أفرادها، والقضاء علىٰ مظاهر الفساد والانحراف الأخلاقي والسلوكي والفكري، والتصدي كل ما يضعفها ويوهنها، في الإسهام في برامج محو الأمية والتكفل بالمرضىٰ والفقراء ورعاية الشباب وترقية المرأة وهذا كله من عمل الخير الذي له أثر طيب في الدنيا، وثوابه عظيم يوم القيامة[3].

٢ - تنمية الروح الجماعية:

العمل الخيري الفردي مهْمَا قام به صاحبُه فهو محدود، والعمل الجماعي له بركته ونفعه العام، والفرد بحاجة إلىٰ أن ينسجم مع غيره من أفراد مجتمعه، وأن يتعاون معهم، انطلاقا من قوله تعالىٰ: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَىٰ الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ) المائدة: ٢. ومن هنا كان للعمل الخيري دور مهم في تنمية الروح الجماعية لدىٰ الفرد، وجعله ينسجم مع غيره. فالأفراد يتمايزون من حيث القوة والنشاط، وبينهم فروق فردية

(١) حطمه الناس: أثقلوه وأضعفوه من شدة ما كان يقوم به في خدمة المسلمين، الحَطْمُ: الْكسر فِي أَي وَجه كَانَ، وَقيل: هُوَ كسر الْيَابِس خَاصَّة، حَطَمَه يَحْطِمُه حَطْمًا، وحَطَّمَه، فانحَطَم وتحَطَّم، والحِطْمَةُ والحُطامُ: مَا تحَطَّمَ من ذَلِك(المعجم الوسيط، ج: ١، ص: ١٨٣)، قال النووي: (يُقَالُ حَطَمَ فُلَانًا أَهْلُهُ، إِذَا كَبُرَ فِيهِمْ، كَأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ، صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا). (شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ١٣)، وينظر حاشية السيوطى علىٰ سنن النسائى (٣/ ٢١٩ ».

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم: ١٢٠٩.

(٣) أحمد شعبان شلقامي، الإسلام رؤية حضارية للتأصيل للعمل الخيري، بحث منشور في موقع:

http: //www.alukah.net/publications_competitions

في المواهب والطاقات والقدرات؛ والعمل الجماعي يجعلهم يتكاملون، ويَسد بعضُهم ضعفَ بعض. وقد تجلىٰ ذلك من خلال الروح الجماعية التي اتسم بها الصحابة في بناء المسجد كعمل خيري عظيم، فاستطاع الرسول ﷺ أن يجعلهم أنصارا ومهاجرين ينخرطون في هذا العمل ويشعرهم بالمسؤولية والتعاون لإنجاز هذا العمل الخيري الكبير، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:... ثم أمر ببناء المسجد فأرسل إلىٰ ملأ بني النجار فجاءوا فقال: (يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا) فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ. قال:...كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم يقول: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة = فانصر الأنصار والمهاجرة(١).

بل من شدة تفاعل الصحابة مع هذا العمل الخيري الجماعي كان أحدهم مثل عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل لبنتين علىٰ كتفه، فعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل واحد لبنةً لبنة، وعمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ، فمسح ظهره وقال: (ابن سمية! للناس أجر ولك أجران، وآخِرُ زادِك شربةٌ من لبن، وتقتلك الفئةُ الباغية)(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، رقم: ٣٧١٧.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ورواه عبد الرزاق الصنعاني بهذا السياق. وقال ابن كثير عن إسناد عبد الرزاق: (وهذا إسناد علىٰ شرط الصحيحين). (البداية والنهاية ٤/ ٥٣٦). ط: دار عالم الكتب.. وقد رواه مسلم في صحيحه لكنه ذكر أن قول رسول الله -ﷺ- لعمار كان عند حفر الخندق في غزوة الأحزاب، قال البيهقي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في الدلائل :(549 / 2) يشبه أن يكون ذكر الخندق، وهما في رواية أبي نضرة، أو كان قد قالها عند بناء المسجد، =

٣ - تدريب الفرد على الفعالية الإنتاجية:

والفعالية الإيجابية سمة مهمة في الفرد داخل مجتمعه، وقد كان للنبي ﷺ أسلوبا تربويا في تدريب الفرد المسلم علىٰ الفعالية في فعل الخير، والتجاوب مع قضاياه، والإسهام بما يستطيع فعله من الخير، فقد جاء في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟**»، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «**فمَن تبع منكم اليوم جنازة؟**»قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»قال أبو بكر رضي الله عنه :أنا، قال: «**فمَن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة**»(١).

وكان ﷺ يحث الفرد المسلم علىٰ فعل الخير، وأن يبذل جهده وما يستطيع في ذلك، وأن يسعىٰ إلىٰ ما فيه النفع لقومه وأمته، من ذلك قوله ﷺ مخاطبا الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري: «**فهل أنت مبلغ عني قومك؛ لعل الله عزوجل أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم**»(٢). فالفرد الذي يتدرب علىٰ فعل الخير وتعويد نفسه عليه يتحول هو نفسه إلىٰ قدوة صالحة لغيره، ويكون جهده مرسخا للسنن والتقاليد الحسنة في المجتمع، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٣).

= وقالها يوم الخندق.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، رقم: ١٠٢٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، رقم: ٤٥٢٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، رقم: ١٠١٧

٤ - تحفيز الفرد على روح المبادرة لخدمة مجتمعه والتفاعل مع قضاياه:

والمقصود بالمبادرة الفردية اندفاع الفرد إلىٰ خدمة مجتمعه بالقيام بأعمال خيرية تطوعية ذات نفع عام(١)، ومبادرة الفرد تعد مقياسا مهما لفعالية أي مجتمع وحيويته، فعلىٰ قدر ما يقوم به الأفراد من مبادرات متنوعة وجادة ونوعية علىٰ مستوىٰ الفكر والعمل يترقىٰ المجتمع ويتقدم(٢). وهذا يرتبط عادة بمدىٰ مستوىٰ التربية السائدة في المجتمع، وبوعي الفرد وشعوره بالمسؤولية، وتشبعه بقيم الانتماء لوطنه.

لذا نجد نصوصا شرعية تحفز للقيام بمبادرات العمل الخير، وتسوق له من النماذج والأمثل التي تقرب المعنىٰ إلىٰ ذهنه، وتضرب له من سيرة الصالحين ما يجعله يقتدي بهم ويتأسىٰ بمبادراتهم التي تفتح له من آفاق العمل الخيري.

وفي حياة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نماذج من المبادرات الطيبة في فعل الخير، فقد ذكرت كتب الحديث قصة المرأة التي كانت تقم المسجد النبوي وتنظفه دون تكليف من أحد، وهذا يدل علىٰ الحضور الاجتماعي للمرأة المسلمة ودورها البارز في العمل الخيري التطوعي في زمن النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابًّا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي**» قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ - فَقَالَ: «**دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ**» فَدَلُّوهُ، فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**»(٣)، وفي رواية إن أبي

(١) عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ص: ٤٨.

(٢) بكار، المرجع نفسه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، رقم: ٤٤٦ - ورواه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب الجنائز، رقم: ٩٥٦.

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فَقَدَ النبي ﷺ امرأةً سوداء كانت تلتقط الخِرَق والعيدان من المسجد، فقال: «**أين فلانة؟**»، قالوا: ماتت، قال: «**أفلا آذنتموني؟!**»، قالوا: ماتت مِن الليل ودُفنتْ؛ فكرِهنا أن نوقظك، فذهب رسول الله ﷺ إلىٰ قبرها، فصلىٰ عليها وقال: «**إذا مات أحد من المسلمين، فلا تدَعُوا أن تُؤذِنوني**»(١).

ولأهمية المبادرات الفردية في فعل الخير، قصّ علينا القرآن الكريم نماذج طيبة منها، قصّ علينا مبادرة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في بناء الجدار دون تكليف من أحد، رغم أن أهل القرية رفضوا ضيافته ومعه موسىٰ عليهما السلام، قال تعالىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [الكهف:٧٧]، فهذا الجدار الذي أتعب الرجلان نفسَهما في إقامته لمصلحة الغلامين اليتيمين، حيث كان تحته كنز لهما ولم يطلبا عليه أجرًا من أهل القرية وهما جائعان وأهل القرية لا يضيفونهما، وقد فسّر الخضر مقتضىٰ هذا العمل الخيري لموسىٰ عليهما السلام: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف:٨٢].

وقص علينا القرآن الكريم قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ورد ماء مدين وما قام به هنالك من مبادرة تفيض مروءة وشفقة، في مساعدة المرأتين اللتين منعهما حياء الأنوثة من الاختلاط بالرجال، وكان خروجهما للضرورة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا

(١) البيهقي، السنن الكبرىٰ؛ ج: ٤، ص: ٥٢، رقم: ٦٩٨١ - صحيح ابن خزيمة، ج: ٢، ٢٧٢، رقم: ١٢٩٩، وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده؛ فتح الباري، ج: ١، ص: ٥٥٣.

خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣- ٢٤].

فالفرد المسلم ينبغي أن يتصف بروح المبادرة في فعل الخير، ولا ينتظر من يحثه أو يدفعه، فقد يكون الفرد في موقف ليس فيه غيره، ويتطلب التحرك لتقديم الخير أو دفع الشر، أو مد يد المساعدة، فعليه أن يبادر، وقد تكون قيمة عمل الخير مرتبطة بزمان أو مكان ولا يتطلب التأخير، وإلا فقد العمل الخيري قيمته. والسنة النبوية تنقل إلينا قصة الرجل الذي نال نعيم الجنة بسبب عمل خيري تطوعي بسيط بادر به من تلقاء نفسه برفع شجرة وفي رواية غصن شوك من طريق المسلمين حتىٰ لا يتأذوا من ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مرّ رجل بغصن شجرة علىٰ ظهر طريق، فقال: والله لأنحينّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة**»(١). بل المبادرة إلىٰ فعل الخير تكون محمودة حتىٰ مع الحيوان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ(٢) يَأْكُلُ الثَّرَىٰ(٣) مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّىٰ رَقِيَ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «**فِي كُلِّ**

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلىٰ مسلم،رقم: ١٩١٤.

(٢) يلهث: يقال لهث بفتح الهاء وكسرها يلهث بفتحها لا غير لهثا بإسكانها والاسم اللهث بالفتح واللهاث بضم اللام ورجل لهثان وامرأة لهثىٰ كعطشان وعطشىٰ وهو الذي أخرج لسانه من شدة العطش والحر، ومنه قوله تعالىٰ: (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث) الأعراف: ١٧٦. (المعجم الوسيط، ج: ٢، ص: ٨٤١)

(٣) الثرىٰ: التراب النَّدِيُّ.

كَبِدٍ رَطْبَةٍ(١) أَجْرٌ»(٢). القصة نفسها تُروىٰ عن امرأة ذات سلوك سيء لكن غُفر لها بإحسانها للحيوان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَىٰ رَأْسِ رَكِيٍّ(٣) يَلْهَثُ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنْ الْمَاءِ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ»(٤). وفي لفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْم حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ(٥) لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا(٦) فَغُفِرَ لَهَا»(٧).

٥ - تمكين الفرد من الانخراط في العمل الجماعي

قص علينا القرآن الكريم قصة ذي القرنين، وهو ملك من الملوك الأرض كان عادلا، كان يجوب الأرض ويمشي في قضاء حوائج الخلق، ولقد كان للعمل التطوعي دورا بارزا في حياته ودعوته. فبيمنا هو يمشي في الأرض إذ وقف علىٰ يأجوج ومأجوج وهم قوم طبيعتهم الإفساد في الأرض وعندها طلب منه من يجاروهم أن يبني بينهم سدا يقول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ

(١) في كل كبد رطبة أجر: معناه في الإحسان إلىٰ كل حيوان حي يسقيه ونحوه أجر وسمي الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، رقم: ٥٦٦٣ - ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، رقم: ٢٢٤٤.

(٣) الركي: البئر. (المعجم الوسيط، ج: ١، ص: ٣٧١)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، رقم: ٣١٤١.

(٥) أَدْلَعَ لِسَانه: أَيْ أَخْرَجَهُ لِشِدَّةِ الْعَطَش. (المعجم الوسيط، ج: ١، ص: ٢٩٣)

(٦) الْمُوق: الْخُفّ: وهو ما يُلْبَس في الرِّجْل من جلد رقيق. (المعجم الوسيط، ج: ٢، ص: ٨٩٢)

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، رقم: ٢٢٤٥.

نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٣-٩٨].

انظر كيف استطاع ذو الفرنين أن يخلص الفرد من سلبيته، والمجتمع من ضعفه، وأن يجعل الكل ينخرط في العمل الخيري الجماعي الذي يعود عليهم بالنفع العام، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥] ، وطلب منهم أن يتعاونوا جميعا في إتيان ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾، وأن ينفخوا في النار، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف:٩٦] طلب منهم أن يأتوه به حتىٰ يفرغ عليه من القطر، فاستطاع بتعاون كل فرد أن يبني لهم سدا قويا متينا صلبا، وأن يحميهم من تهديد يأجوج ومأجوج.

لقد طلب القوم من ذي القرنين أن يساعدهم في بناء السد علىٰ أن يعطوه "خرجا"، أي أجرًا عظيمًا من المال، لكنه تعفف وتطوع لفعل الخير، وطلب منهم فقط أن يعينوه بقوة عملهم البدني ووسائل البناء، فقال لهم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف:٩٥] ،[1] أي الذي أعطاه الله من الملك والتمكين خير له من أجرهم ومالهم، أي أنا الذي فيه خير من الذي تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة أي

(١)وهو سلوك الأنبياء جميعا الداعين إلىٰ الخير دون انتظار مقابل من أحد إلا المثوبة من الله وحده لا شريك له، كما قال سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾[النمل:٣٦]، وقال تعالىٰ علىٰ لسان الأنبياء: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩]

بعملكم وآلات البناء حتىٰ أجعل بينكم وبينهم ردما.

فلا ينبغي احتكار الأعمال، فالاستئثار بالعمل مِن الآفات التي تدمِّر العلاقات الإنسانية وتقتل المبادرات، فهناك من يعمل مع مجموعة، لكن ينفرد بكل شيء بدافع الغرور أو بعدم الثقة في الآخرين، لم يدَع فرصةً للآخرين لتقديم ما يَملكون من مهارات، فهو يعتقد أنه القادر علىٰ إنجاز كل هذه الأعمال(١). أما سلوك النبي ﷺ الكامل في كل شيء – هو تدريب الصحابة علىٰ العمل المشترك، و كان يُشرِك الكل في إنجاز العمل ذي النفع العام، ويتيح الفرصة لكل فرد، كما في بناء المسجد وحفر الخندق والغزوات وإسناد الأعمال.

(١) عبدالستار المرسومي، ركائز العمل المؤسساتي في الإسلام، مقال منشور في http: //www.alukah.net/sharia/

سادسا

أثر العمل الخير في تدريب الفرد على الإبداع وكسب المهارات

١ - الفرد المبدع قيمة اجتماعية:

الفرد النشط المتفاعل مع قضايا مجتمعه ويسخر طاقته لأجل خدمته، يمثل ثروة اجتماعية لا تقدر بثمن، لأن التنمية بمجالاتها الاقتصادية والثقافية والصحية والتكنولوجية أصلا تقوم علىٰ جهد الفرد، الذي عبر عنه القرآن بـ "الفرد العدل" الإيجابي الفعال، ويقابله "الفرد الكل"، وهو الشخص السلبي الذي لا يفكر إلا في ذاته، ويفتقد لروح المبادرة، وعاجز عن فعل شيء نافع، قال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦].

فالأبكم حاله أنه عاجز عن الإدراك وعن العمل، ليس منه خير يرتجىٰ، ولا فائدة تُنتظر منه، بخلاف الرجل الكامل العقل والنّطق في إدراكه الخيرَ وهديه إليه وإتقان عمله وعمل من يهديه، ضربه الله مثلاً لكماله وإرشاده الناس إلىٰ الحقّ. وأصل الكَلّ: الثّقَل. والمولىٰ هو الذي يلي أمر غيره، والمعنىٰ هو عالة علىٰ كافله لا يدبّر أمر نفسه. ثم زاد وصفه بقلّة الجدوىٰ، فأينما يوجّهه مولاه في عمل خيري ليعمله أو يأتي به لا يأتي بخير، ولا يهتدي إلىٰ ما وجّه إليه. بخلاف الذي يأمر بالعدل، والعدل: الحقّ والصواب الموافق للواقع، والرجل العدل حكيم في تصرفه، عالم بالحقائق ناصح للناس يأمرهم بالعدل لأنه لا يأمر بذلك إلا وقد

علمه وتبصّر فيه، ثم هو علىٰ صراط المستقيم، أي علىٰ عمل صالح، وسيرة حسنة وسلوك طيب، الموصل إلىٰ المقصود الواضح، فلا يستوي مع من لا يعرف هدىٰ ولا يستطيع إرشاداً، بل هو محتاج إلىٰ من يكفله(١).

فالفرد الصالح يشكل ثروة دائمة لا تنضب أبدا، وقيمة لا تقدر بثمن، فهو دوما يسعىٰ لأجل مصلحة مجتمعه ويبادر إلىٰ نفعهم، وهو ما كان ينصح به الرسول ﷺ صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، من ذلك ما نصح به ﷺ أبا برزة الأسلمي، الذي يقول عن نفسه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ، فَقَالَ: «**انْظُرْ مَا يُؤْذِي النَّاسَ، فَاعْزِلْهُ عَنْ طَرِيقِهِمْ**»(٢).

٢ - دور العمل الخيري في اكتشاف ميولات الفرد ومواهبه:

خلق الله تعالىٰ الناس مزودين بمواهب وقدرات ذاتية مادية ومعنوية، كامنة فيهم بأصل الخلقة، وهم متفاوتون في ذلك، بينهم فروق فردية لحكمة أرادها الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي أن يتكامل الناس فيما بينهم، ويكون بعضهم بحاجة إلىٰ بعض، ولا يستغني أحد عن أحد، قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢].

فكل فرد له قيمته، وله من المواهب والقدرات ما يتميز بها، فلا ينبغي أن يحقر نفسه؛ إلا أنه قد يكون عاجزا عن اكتشاف ما عنده من القدرة والموهبة التي منحها له الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأصل الخلقة، فيحتاج إلىٰ من يعينه علىٰ ذلك، وقد تكون الممارسة العملية كفيلة لاكتشاف ما عنده من مواهب. ومن هنا فإن أعمال

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: ٤، ص: ٢١٢ – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٠، ص: ١٠٨و١٠٩ – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: ٤، ص: ٢١٨٣و٢١٨٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، رقم: ١٩٣٤٧.

الخير التي يوجه إليها الفرد قد تكون فرصة عملية لأن يكتشف الفرد نفسه بنفسه، أو غيره ممن يقوم بالتدريب علىٰ العمل الخيري التطوعي يكتشف ما فيه من مواهب، فيجده يصلح لعمل دون عمل، فيُوجّه للذي يصلح له، لأنه سوف يتقنه ويبدع فيه.

وقد كان النبي ﷺ بحكم خبرته بالرجال، ومعاشرته لأصحابه وتفرسهم فيهم، كان يوجّه كل واحد منهم إلىٰ ما يصلح له من العمل الذي ينفع به أمته. فقد وجه ﷺ خالد بن الوليد إلىٰ المجال العسكري، لما التمس فيه من القدرة والعلم بفنون القتال، وكلفه ببعض المهام العسكرية، ومدحه في بعض المناسبات ودافع عنه، حتىٰ لقب بسيف الله المسلول، من ذلك ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**أما خالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله**»(١). كما كان ﷺ يتفرس في صحابته فيرشدهم إلىٰ ما عندهم من مواهب الخير لينفعوا بها مجتمعهم، فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي أَبُو بكر، وأشدُّها حَيَاء عُثْمَان، وأعلَمُهَا بالحلال وَالْحرَام معَاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله تَعَالَىٰ أُبِيّ، وأعلَمُهَا بالفرائض زيد، وَلكُل أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هَذِه الأُمّة أَبُو عُبَيْدَة بن الْجراح**»(٢).

٣ - العمل الخيري مجال حيوي لتنمية الإبداع وكسب المهارات:

فكل فرد يتمتع بمواهب وقدرات تميزه عن غيره، وهذه المواهب إن لم تُنَمَّ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، رقم: ١٣٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، رقم: ٩٨٣.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ في كتاب المناقب، رقم: ٣٧٩٠، وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك، وَقَالَ: إِسْنَاده صَحِيح عَلَىٰ شَرط الشَّيْخَيْنِ. وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة، رقم: ١٢٢٤.

ويُعتن بها فإنها سوف تضمر وتتلاشىٰ في نفس صاحبها. فيكون العمل الخيري وخاصة في إطاره الجماعي مجال خصب لكل فرد لتنمية مواهبه وكسب المزيد من المهارات. فيوجه إذا الفرد إلىٰ ما يحسنه ويعرفه ويتقنه، لأنه إذا كلف بما لا يتقنه وأخفق فيه فيكون من الظلم الحكم عليه بالفشل.

فالعمل الخيري وبخاصة التطوعي منه يتيح للفرد لأن يبذل ما يستطيع من جهد دون قيد أو شرط في المجال الذي يرغب فيه، فيطور من قدراته ومواهبه، ويسترجع ثقته بنفسه، ويتخلص من عقدة النقص واحتقار الذات، وتكون فرصة له لإبراز ذاته وإثبات وجوده من خلال قيامه بعمل مفيد ونافع لمجتمعه.

٤ - انخراط الشاب البطال في ورشات العمل الخيري لكسب مهارات حرفية ومهنية:

لا شك أن البطالة[١] صارت مشكلة في المجتمعات العربية والإسلامية، وأصبحت تشكل خطرا اجتماعيا وأخلاقيا واقتصاديا، ولها آثار سلبية مباشرة علىٰ الفرد والمجتمع معا. ويلاحظ أنها أخذت تتفاقم في الآونة الأخيرة في العالم العربي والإسلامي، ونسبة العاطلين عن العمل مرتفعة جدًّا، وتمس نسبة كبيرة من الشباب؛ إذ هم أكثر ضحاياها[٢]، فهم قادرون علىٰ العمل ولكن لا يجدون فرصا لذلك. إذ يعاني الكثير من الشباب من هذه المشكلة التي صارت تؤرق القائمين علىٰ الشأن العام، ولها أسباب اقتصادية واجتماعية وأيضا التزايد

(١) جاء تعريف البطالة بأنها: "كل مواطن في سن العمل ويرغب فيه ولا يجده"، (محمد حسين عبد القوي، البطالة: المشكلة والعلاج، الأكاديمية الملكية للشرطة، وزارة الداخلية، مملكة البحرين، ص: ٠٣)، أو هي: "عطالة الإنسان عن عمل نافع" (عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط ٣، سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص: ١٠٩)

(٢) عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ص: ١٠٩و١١٠.

السكاني. بل إننا نجد أن البطالة صارت تهدد خريجي الجامعات ومؤسسات التكوين والتأهيل، وبعض الجامعات في الوطن العربي تطرد مئات من الطلبة لفشلهم الدراسي(١)، وأن خريج الجامعة الذي يحمل شهادة عليا قد لا يجد عملا وهو يرغب فيه وقادر عليه وله مؤهلات علمية وتكوينية تسمح له بذلك، نظرا لعجز سوق العمل عن توفير فرص العمل للخريجين جميعا، أو أن الدولة نفسها عاجزة عن إيجاد الوظائف الكافية للقوىٰ القادرة علىٰ العمل بالأجر السائد في السوق(٢)، فصرنا نرىٰ من يحمل شهادة في الطب أو الهندسة أو غيرهما لكنه لا يجد عملا، فأدىٰ ذلك إلىٰ هجرة الأدمغة والطبقة المثقفة إلىٰ البلدان الأوروبية، وبالشباب إلىٰ الهجرة غير الشرعية، مما أحدث نزيفا في الأمة. بل صرنا نرىٰ في مجتمعاتنا الإسلامية أنواعا من البطالة، البطالة المكشوفة، والبطالة الاحتكاكية والبطالة الموسمية، والبطالة الطبقية، والبطالة المقنعة، إلا أن أسوأ أنواعها هي الأولىٰ حيث نجد عددا من القوىٰ البشرية المؤهلة القادرة علىٰ العمل لا تجد عملا تقوم به(٣).

من هنا وجب التفكير في إيجاد حلولا عملية تسهم في امتصاص نسبة بطالة الشباب الذين يتزايد عددهم بسرعة نظرا لطبيعة النمو المرتفعة في الوطن العربي، وارتفاع نسبة عدد الشباب بالنسبة لجموع عدد السكان.

والعمل الخيري له دور مهم في القضاء علىٰ البطالة أو التقليل منها من خلال ما يحدثه من برامج ومشاريع و ورشات متنوعة للتدريب المهني لفائدة

(١) محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، ص: ١٠.

(٢) عبد القوي، البطالة: المشكلة والعلاج، ص: ٠٤.

(٣) عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ص: ١١١و١١٢.

الشباب لرفع كفاءته وقدرته علىٰ العمل، كل بما ينسجم مع تخصصه وميولاته لكسب الخبرة، حتىٰ يتأهل ويصير جاهزا لممارسة أي وظيفة تتطلبها المؤسسات الاقتصادية والسياحية والحرفية التي تفتح مجال التوظيف. فغالبا ما تشترط تلك المؤسسات الخبرة المهنية المسبقة مما يكون عائقا أمام الشباب، لكن بذلك التدريب المؤهل يتجاوز الشباب عقبة شرط الخبرة، ويوظفون في مختلف القطاعات(١)، لأن بعضهم يضع في معايير التوظيف شرط الخبرة. ويمكن أيضا بالشراكة بين المؤسسات الاقتصادية وجهات العمل الخيري إعداد دورات لتكوين وتأهيل عدد معين في مهن معينة، فيوظفون مباشرة بعد انتهاء فترة التكوين.

٥ - استثمار وقت الشباب وتنظيمه:

يتفق المختصون النفسانيون والاجتماعيون أن الفراغ يشكل خطورة علىٰ الفرد وبخاصة الشاب لأنه ييسر ميله إلىٰ الانحراف وارتكاب المنكرات، ويسهل تلقفه من قبل الجماعات المتشددة التي تتبنىٰ أفكارا متطرفة. فإذا لم يبادر الفرد باستغلال أوقات فراغه في عمل مفيد ولو في التربية البدنية، وإذا لم تكن هناك مؤسسات وجمعيات ترشده إلىٰ حسن إدارة الأوقات التي ليس له فيها شغل، فقد تضطرب نفسيته ويتطرق إليه الملل والإحباط واحتقار الذات وربما التفكير في الانتحار، أو الانخراط في جماعات الأشرار والمتشددين.

فتضييع الأوقات صار ظاهرة متفشية عند كثير من الناس عموما وعند الشباب علىٰ وجه الخصوص، فتجد الواحد منهم يضيع وقته في أمور تافهة لا تعود عليه بالنفع لا في دينه ولا في دنياه، مع العلم أن الوقت هو أغلىٰ ما يملك الإنسان؛ إذ

(١) عبد القوي، البطالة: المشكلة والعلاج، ص: ٠٧.

هو حياته وعمره، وكل وقت يمضي هو نقصان من عمره، فضياعه هو ضياع العمر، وقلة الاكتراث بالوقت صار مرضا اجتماعيا عاما(١)، ولخطورته حذّر النبي ﷺ من مسألة تضييع الوقت وأرشد إلىٰ اغتنامه في الخير، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»(٢)، فالصحة والوقت نعمة لكن الكثير من الناس لا يعرف قيمتهما إلا بفقدانهما، وحين زوالها يندم ألا يكون قد استغل تلك النعمة في الخير والعمل الصالح.

فهذا الوقت الهائل الذي يضيع هدرا لكل فرد من أفراد الأمة، ولكل شاب من شباب المجتمع والذي يشكل قيمة اقتصادية واجتماعية يمكن استغلاله في العمل الخيري المنظم. فالكثير من الناس يفقد مهارة تنظيم وقته، وبعضهم عنده وقت زائد لا يدري كيف ينتفع به، وهذه الظاهرة نجدها أيضا عند من أحيلوا علىٰ التقاعد أو المعاش.

فالأوقات الضائعة مجال مهم للعمل الخيري لتوظيف ذلك الفراغ فيما يعود بالنفع علىٰ الغير. كورشات العمل الخيري التطوعي الموجهة للنفع العام، كرعاية المرضىٰ والأيتام والفقراء، وورشات تعليم المهن اليدوية والنوادي الفكرية والعلمية والرياضية وجمعيات الأحياء السكنية التي تهتم بترقية الحي السكني من حيث النظافة وتحسين المحيط وغيرها من المبادرات الطيبة التي ينخرط فيها الشباب والمتقاعدون وغيرهم كفيلة باستثمار أوقاتهم في الخير، وتدريبهم علىٰ تنظيم وقتهم، وملء الفراغ الذي يعانون منه، والذي قد يسبب لهم قلقا نفسيا يضر بصحتهم. وهذا التدريب علىٰ استغلال الوقت وحسن استثماره هو تعويد الفرد

(١) عبد الكريم بكار، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، ص: ٤٧.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، رقم: ٦٠٤٩

علىٰ الفعالية الإنجازية، فلا يمر يوم من حياته إلا ويحقق فيه إنتاجا أو فائدة أو نفعا عاما أو خاصا، وإذا ما اندمج الأفراد أو الشباب في ورشات العمل الخيري المتعددة اكتسبوا ثقافة الإحسان وفعل الخير وأصبحوا إضافة نوعية ليس فقط في التنافس الخيري بل في تطوير أشكاله وأساليبه وفنياته.

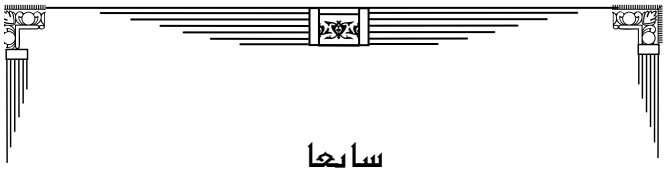

سابعا

أثر العمل الخيري في إصلاح سلوك الفرد

١- أثره في تقويم أخلاق الفرد وإبعاده عن السوء والانحراف:

استقامة التدين قصده الشرع بالقصد الأول، وهو لا يخص فقط العبادات المفروضة من صلاة وزكاة وصيام وحج، بل يشمل كل مظاهر الحياة علىٰ مستوىٰ الأسرة والسوق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والنشاط الاقتصادي والعمل الطبي والصناعي والزراعي والعسكري، والتعبد في ذلك كله مطلوب شرعا.

فعمل الخير يمكن أن يسخر كوسيلة مهمة لعلاج انحرافات الفرد السلوكية وبخاصة الشاب، بمساعداته ومرافقته، فغالبا ما تكون انحرافات الشاب ناتجة عن الفراغ والبطالة والفقر، فيدفعه ذلك إلىٰ السرقة وارتكاب الفواحش ومخالطة السفهاء وتناول المخدرات والمسكرات، فيضعف فيه التزامه بالدين، ويبتعد عن ذكر الله تعالىٰ وعن الصلاة.

وعمل الخير ليس فقط لمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين، فيمكن توظيف عمل الخير أيضا في بناء قاعات للرياضة مثلا، ووضع برامج رياضية أو فكرية أو ترفيهية وتنظيم مسابقات خاصة بالشباب وتشجيعهم بالجوائز والشهادات التكريمية، كمنافسات في كرة القدم بين الطلاب، وبين الأحياء السكنية أو بين المساجد، وتنظيم رحلات سياحية، مما يملأ فراغهم ويبعدهم عن

الآفات الاجتماعية، ويقوّم سلوكاتهم الخاطئة، ويغرس في نفوسهم الإيجابية وروح الأمل.

والانحرافات الاجتماعية التي تهدد الفرد بصفة عامة والشاب بصفة خاصة كثيرة ومتنوعة وكلها خطيرة ومخربة للمجتمع، ومحاربتها لا يكون فقط بأساليب القوة والعقاب، وإنما بالوسائل التربوية والتقرب من الشباب والاستماع إليه، والتكفل بانشغالاته، وتقديم ما يحتاجه، وتوفير المرافق والفضاءات الرياضية والثقافية التي تمتص حماسه واندفاعه.

فيمكن للمحسنين أن يسهموا في ذلك بتوعيتهم بأولويات فعل الخير، وأنه ليس محصورا فقط في النفقة علىٰ الفقير، وذلك من مقتضىٰ واجب النصيحة وتكثير المعروف والتعاون علىٰ سد أبواب المنكر، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1]، فقوله: «**وَعَامَّتِهِمْ**» مجال واسع للخير، والنصيحة عمل خيري، وكما تكون بالقول تكون بالفعل.

ولا يخفىٰ خطورة المخدرات المهددة لشريحة عريضة من شباب المجتمع وأفراده. فالشاب الذي يتعاطىٰ المخدرات يفقد وعيَه وتصدر منه تصرفات طائشة تثير الشقاق والخلاف والعداوة والبغضاء، بل المخدرات أشد خطرا من الخمر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجيبا لمن سأله عن حكم تناول الحشيش: (وهىٰ بالتحريم أولىٰ من الخمر، لأن ضرر آكل الحشيشة علىٰ نفسه أشد من ضرر الخمر)[2]، وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحشيشة المصنوعة من ورق القنب

(١) ـ مسلم في كتاب الإيمان، باب أن الدين النصيحة، رقم: ٨٢.

(٢) فتاوىٰ ابن تيمية، ج: ٣٦، ص: ٢٢٤

حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر)[1]، ونقل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن حجر الهيثمي تحريمها عند الأئمة الأربعة فقال: (ثبت بما تقرر أنها حرام عند الأئمة الأربعة: الشافعية، والمالكية، والحنابلة بالنص والحنفية بالاقتضاء)[2]، قال ابن حجر في الزواجر: (وحكىٰ القرافي وهو من أئمة المالكية وابن تيمية الإجماع علىٰ تحريم الحشيش)[3].

فوجود برامج وعمل توعوي ومرافق ومراكز وأنشطة متنوعة تُموّلُ من أهل الخير كفيلة بإبعادهم عن تلك الآفة الخطيرة التي انتشرت في المجتمعات العربية والإسلامية.

كما أن تلك البرامج تحفظ الشباب من الأفكار الضالة التي تشوش عقولهم وفكرهم، وتضللهم وتفسد عليهم عقيدتهم ودينهم من الجماعات والفرق الضالة، أو تروج للشعوذة والخرافات، وكل ذلك مفسد للعقل والتفكير والسلوك، يقول ابن عاشور: (حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خلل، لأن دخول الخلل علىٰ العقل مؤد إلىٰ فساد عظيم من عدم انضباط التصرف، فدخول الخلل علىٰ عقل الفرد مفض إلىٰ فساد جزئي، ودخوله علىٰ عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم)[4].

(١) الذهبي، الكبائر، ص: ٨٦.
(٢) فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، ج: ١٢، ص: ١٠٢.
(٣) ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج: ١، ص: ٢١٣.
(٤) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص: ٨٠.

٢ - تعويد الفرد على قيم الخير والتعاون

جاء الإسلام بقيم اجتماعية نبيلة تؤسس لمجتمع فاضل مترابط متماسك، تجعل منه أسرة واحدة، يسعىٰ فيها كل فرد إلىٰ تحقيق النفع العام، متجاوزا أنانيته وأثرته، ولعل الحديث الذي يُروىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يصور جماعة المسلمين أحسن تصوير والذي قَالَ فيه: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعىٰ بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد علىٰ من سواهم يرد مشدهم علىٰ مضعفهم ومتسريهم علىٰ قاعدهم**...»(١). وقد اتجه الإسلام منذ مجيئه إلىٰ تربية الفرد المسلم علىٰ القيم التي تربطه بمجتمعه، وتشعره بانتمائه القوي بوطنه، فترتقي به تلك التربية إلىٰ الطهارة النفسية من الأمراض الذاتية، وتدفعه – عن حب ورضا - إلىٰ أن يضحي بجهده النفسي وماله الذي اكتسبه وادّخره من أجل خدمة الصالح العام.

فالفرد الذي يترعرع في الوسط الإسلامي ينشأ علىٰ قيم المحبة والتعاطف والأخوة والتعاون والتكافل والمواساة، وهي سلوكيات اجتماعية تحقق للفرد قيامه بدور ايجابي في خدمة واستقرار مجتمعه، قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٢)، بل إن الإسلام يحث الفرد المسلم علىٰ فعل الخير حتىٰ مع غير المسلمين، فيقدم يد المساعدة لكل محتاج بمقتضىٰ الأخوة الإنسانية، وكيف لا يفعل ذلك وهو المأمور شرعا أن يحسن إلىٰ الحيوان فما بالك بابن آدم الذي كرّمه ربه تعالىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد في سننه بهذا اللفظ، كتاب الجهاد، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، رقم: ٢٧٥١ – ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، رقم: ٢٦٨٣. وصححه الشيخ الألباني والشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، رقم: ٥٥٩٤ – ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، رقم: ٤٨١٢.

﴿يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:٨].

فالجماعة المسلمة متفاعلة فيما بينها، تدعو إلىٰ الخير وتنشر المعروف وتمنع المنكر وتمارس النقد الذاتي تجاه بعضها البعض حفاظا علىٰ الصالح العام، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من رأىٰ منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١)، وحديث السفينة المروي في الصحيح عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والذي سبق ذكره مما يؤكد هذا المعنىٰ. والدعوة إلىٰ الخير في قوله تعالىٰ يمكن أن تتجسد في إطار مشاريع وبرامج خيرية تُيسّر تكثيرَ الخير وتقلل المنكر والفساد بوسائل وأساليب سلمية هادئة تجد لها قبولا في نفوس المدعوين.

وقد كان النبي ﷺ يتعهد أصحابَه بالتربية لغرس القيم الاجتماعية فيهم، وتعويدهم علىٰ خصال الخير، فكلما سنحت له ﷺ فرصة إلا واغتنمها لتدريب أصحابه علىٰ تلك القيم وبخاصة قيمة الإحسان إلىٰ الغير واستخراج ما في أنفسهم من خير حتىٰ تصير فيهم عادة حسنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَىٰ نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلاَّ الْمَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: «**أَنَا**» فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: «**أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ**» فَقَالَتْ: «**مَا عِنْدَنَا إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي**» فَقَالَ: «**هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً**». فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا؛ فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم: ٤٩.

«ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] (١). فقد كان بإمكان رسول الله ﷺ أن يستدين، أو يأخذ من نصيبه من بيت مال المسلمين ويكرم ضيفه، إلا أنه آثر أن يشرك أصحابَه في فعل الخير حتىٰ يتعودوا عليه ويتنافسوا فيه.

٣ - تنمية شعور الشفقة تجاه الغير:

والشعور بالشفقة تجاه الغير شعور نبيل وعاطفة إنسانية، وهو شعور كفيل بإدامة الإحسان إلىٰ الضعفاء والمحتاجين والمرضىٰ والأيتام وغيرهم. وكان الوحي القرآني في أول ما نزل قد لفت انتباه النبي ﷺ إلىٰ خلق الشفقة والعطف علىٰ الضعفاء، فقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩-١٠].

و أوصىٰ القرآن الكريم المسلمين بالشفقة علىٰ الضعفاء جميعا علىٰ مختلف أصنافهم، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥]، وقال أيضا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٢٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١]. فانخراط الفرد في مشاريع الخير العامة والخاصة، سواء أكانت من مبادرات خاصة، أو التي ترعاها مؤسسات

(١) البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الانصار، رقم: ٣٧٩٨.

ومراكز، تجعله يغوص في عمق المجتمع وأوضاعه، فيطلع علىٰ أوضاع الناس وفقرهم واحتياجهم ومعاناتهم وظروفهم القاسية، فتتنمىٰ فيه مشاعر الشفقة والعطف تجاه هؤلاء، فيسهم بماله ونفسه من أجل مَدّ يد المساعدة لهم، والتخفيف عن معاناتهم. ومثل هذه الخدمات كفيلة بأن تقوي في هؤلاء الضعفاء والمحتاجين الإيمان والأمل، وتنزع منهم الكره تجاه غيرهم، وتقربهم من الإسلام أكثر، فيزدادون قناعة بخيرية الدين. وقد كان المسلمون في صدر الإسلام يواسون بنصيب من أموال الزكاة غير المسلمين لتأليف قلوبهم وتصحيح قناعاتهم الخاطئة تجاه الإسلام والمسلمين.

ولعل من أهم عوائق فعل الخير التي تحول بين الفرد والشفقة علىٰ الغير خصال الشح والبخل واكتناز المال، لذا كان النبي ﷺ يحث الصحابة علىٰ الإنفاق ومواساة المحتاجين والوقوف بجانبهم، حتىٰ تتطهر قلوبُهم منها، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صُبْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادَّخَرْتُهُ لَكَ وَلِضِيفَانِكَ، فَقَالَ: «**أَمَا تَخْشَىٰ أَنْ يَفُورَ لَهُ بُخَارٌ فِي جَهَنَّمَ؟ أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا**»(١).

٤ - تأهيل الفرد المسبوق قضائيا و المسجون للاندماج في المجتمع:

غالبا ما ينظر إلىٰ المسجون نظرة مقت وكره، نتيجة ما ارتكبه من جرائم هددت أمن الأفراد في أموالهم وأنفسهم، وذلك طبيعي كرد فعل اجتماعي.

لكن المسجون إنسان، وقد يكون مدفوعا لارتكاب جريمة ما نتيجة ظروف نفسية أو أسرية أو بيئية، فقد يسرق للفاقة والاحتياج، لأنه يرىٰ غيره يتنعم بشتىٰ

(١) فقد أخرج هذا الحديث جمع من المحدثين كالطبراني في الكبير والإمام أحمد في الزهد، والبيهقي في الشعب، والبزار في المسند وغيرهم عن جماعة من الصحابة بألفاظ متقاربة. والحديث صححه الألباني وأورده في الصحيحة برقم ٢٦٦١، وذكر كثرة طرقه.

أنواع الطيبات، وقد يعتدي نتيجة التهميش والإقصاء... وهذا ليس من باب التبرير للجريمة؛ إذ لا مسوغ لارتكابها، وإنما ينبغي أن ننظر إليه نظرة الطبيب للمريض، فهو بحاجة إلىٰ معالجة وعناية حتىٰ يكف عن إجرامه ويتوب منه ولا يعود إليه، وهذه هي سياسة الشريعة تجاه المخطئين حيث فسحت لهم باب التوبة والإصلاح والاندماج في المجتمع من جديد. فرغم أن السرقة جرم خطير ومع ذلك فسح الإسلام لمرتكبها باب التوبة والإصلاح فقال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩]، وقال في شأن المحاربين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣٤] ، وقال تعالىٰ فيمن يرمي غيره بالقذف ويتعدىٰ علىٰ الأعراض: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٨٩].

وقد يكون عدد المسجونين مرتفعا جدا في بعض البلاد العربية والإسلامية، وقد يكون معظمهم من الشباب، وهم يشكلون طاقة بشرية، فلا ينبغي أن يقتصر دور السجن علىٰ تقييد حرية المجرم وإلحاق العقوبة به، بل علينا أن نفكر في طرق جديدة لإصلاح السجن وتأهيل السجين، حتىٰ إذا ما قضىٰ فترة سجنه يكون قد تأهل وأصلح من شأنه وسهُل إدماجه من جديد اجتماعيا.

إن المسبوقين قضائيا والمسجونين والذين قد يُنظر إليهم نظرة بغض أو كره، والبعد عنهم وعدم مخالطتهم والتخوف منهم، وإبعادهم عن كل وظيفة، ينبغي تغيير نظرة المجتمع إليهم، وتكثيف الجهد من أجل إصلاحهم، وإن أفضل ما يمكن به إصلاحهم وتقويم سلوكهم وإعادة الاعتبار لهم اجتماعيا، هو دمجهم في ورشات العمل الخيري، كتنظيم حملات التبرع بالدم يقوم بها المساجين لفائدة المرضىٰ حتىٰ ننمي فيهم الإحساس بمعاناة الغير، وحملات التطوع لغرس الأشجار وتنظيف المحيط، والقيام بأعمال ومهن يدوية ضمن مؤسسات منظمة

تنشأ لهذا الغرض تكون ملحقة بالسجن تُقدم خدمةً اجتماعيةً مجانية من جهة، وهم من جهة أخرىٰ يحصلون هؤلاء السجناء علىٰ خبرات ومهارات مختلفة، ويمكن أن تعط لهم شهادة أو دبلوم معترف به يمكن أن يجدوا به وظيفة.

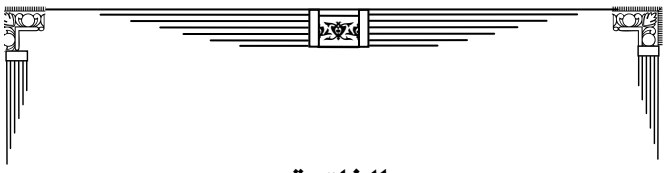

الخاتمة

مما سبق ذكره يتبين أهمية العمل الخيري وأثره الطيب في إصلاح الفرد وتخليصه من سلبيته وتفعيل دوره الاجتماعي، وتسخير جهده في خدمة مجتمعه والارتقاء بأمته، حتىٰ يصير عمل الخير سلوكا طبيعيا معتادا في حياته وعلاقاته الاجتماعية.

فدور العمل الخيري هو تسخير الطاقات الفردية، وتوظيف المواهب والقدرات للخدمة الاجتماعية العامة، وتمكين الفرد من اكتشاف ذاته والثقة بنفسه، وتخليصه من سلبياته، وجعله عنصرا إيجابيا ومواطنا صالحا متفاعلا مع قضايا أمته، ومتضامنا مع أفراد مجتمعه.

والعمل الخيري ليس له شكل محدد، ولا هو محصور فيما نصت عليه النصوص القرآنية والنبوية، بل يتسم بالشمولية والسعة، وتتعد مجالاته وقطاعاته، وهو قابل لتطوير أشكاله وأساليبه. وكلما كان منظما وجماعيا، وفق برامج و ورشات، أمكن انخراط الجميع فيه، وتمكن هو من بلوغ ثماره الإيجابية وتعميم نتائجه النافعة، وأسهم في تحقيق التنمية الاجتماعية.

فينبغي أن تتكاثف الجهود من أجل نشر ثقافة العمل الخيري التطوعي في المجتمع بشتىٰ الوسائل والطرق، عبر الخطاب المسجدي ووسائل الإعلام والبرامج والمحتويات الدراسية في المدارس والجامعات، كما أن للجمعيات

والنوادي الخيرية دورا مهما في تعويد الفرد علىٰ الخير، والأخذ بيده وإبعاد الحواجز النفسية عنه، وتمكينه من تنمية قدراته واكتشاف مواهبه وكسب مهارات من أجل جعله مواطنا صالحا إيجابيا، يشعر بمسؤوليته ويحس بانتمائه إلىٰ وطنه ويسعىٰ لخدمته(١).

(١) تيسير بن سعد بن راشد أبو حيمد، حاجتنا إلىٰ العمل التطوعي، منشور في :http //www.alukah.net/social/- زيد بن محمد الرماني، تطوع الشباب.. أمان من الانحراف الفكري، منشور في

http: //www.alukah.net/culture/

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

ـ كتب الحديث

ـ الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، سنة١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.

ـ ابن باديس: عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط١، سنة١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ بكار، عبد الكريم، ثقافة العمل الخيري: كيف نرسخها وكيف نعممها؟، ط ١، سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار السلام، مصر.

وكتابه: نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط ٣، سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

ـ ابن تيمية: تقي الدين أحمد، مجموع فتاوىٰ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

ـ ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري إلىٰ شرح صحيح البخاري، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ الدريني: محمد فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار

قتيبة،بيروت،لبنان، ط١، سنة١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ـ ابن زغيبة: عز الدين، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور أبو الأجفان، قسم أصول الفقه، المعهد الأعلىٰ للشريعة، جامعة الزيتونة، السنة الجامعية: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

ـ السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج علىٰ منهاج الوصول إلىٰ علم الأصول للبيضاوي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، سنة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ـ ابن عبد السلام: عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الجيل، بيروت،لبنان،ط٢، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ـ ابن عاشور: محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، والشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط سنة ١٩٨٥م، ص: ٧٩.

ـ عطية: جمال الدين، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، مطبعة المدينة، ط١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م.

ـ الغزالي، أبو حامد، المستصفىٰ من علم الأصول، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢.

ـ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ الشاطبي: إبراهيم بن موسىٰ اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ العمرية شايب ربي، مقصد التعاون الحضاري الإنساني بين التأصيل والتنزيل، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ١٤٣٩/ ٢٠١٨.

ـ ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن أحمد، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ـ القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الغد الجديد، القاهرة، ط ١، سنة ١٤٣٥/ ٢٠١٤.

ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط ١٢، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

ـ الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط سنة ١٤٢٨/ ٢٠٠٢.

ـ ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

ـ ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٧، سنة١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

ـ فتاوىٰ ورسائل، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

ـ يوسف القرضاوي، أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، ط٢، سنة ٢٠٠٨م، دار الشروق، القاهرة، مصر.

ـ محمد حسين عبد القوي، البطالة: المشكلة والعلاج، الأكاديمية الملكية للشرطة، وزارة الداخلية، مملكة البحرين.

ـ محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر.

ـ مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

ـ أبو هشام الدين محمد حسين، التوضيحات الأولية لعلم مقاصد الشريعة الإسلامية، المطبعة الصحراوية، ورقلة، الجزائر، ط١، سنة١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

المقالات:

ـ مراد سلامة، العمل التطوعي في الإسلام، خطبة جمعة، منشور في

http: //www.alukah.net/sharia/

ـ أحمد مخيمر، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة،

http: //www.alukah.net/culture/

ـ عبد الستار المرسومي، ركائز العمل المؤسساتي في الإسلام، مقال منشور في http: //www.alukah.net/sharia/

ـ حسين عبد المطلب الأسرج، بحث: "الصناديق الوقفية كآلية لتمويل وتنمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة" –

ـ محمد علي القري، صناديق الوقف وتكييفها الشرعي. بحث منشور في موقع:

http: //www.elgari.com/article81.htm

ـ محمد الزحيلي، الصناديق الوقفية المعاصرة: تكييفها، أشكالها، حكمها، مشكلاتها، منشور في موقع:

http: //www.kantakji.com/fiqh/Files/Wakf/52054.pdf :

ـ وليد هويمل عوجان، وقف النقود وصيغ الاستثمار فيه. منشور في:

www.kantakji.com/fiqh/Files/Wakf/52075.pdf

ـ محمد نبيل غنايم، وقف النقود واستثمارها، منشور في موقع:

http: //www.kantakji.com/fiqh/Files/Wakf/52076.pdf

ـ أحمد شعبان شلقامي، الإسلام رؤية حضارية للتأصيل للعمل الخيري، بحث منشور في موقع

http: //www.alukah.net/publications_competitions :

ـ عبدالستار المرسومي، ركائز العمل المؤسساتي في الإسلام، مقال منشور في http: //www.alukah.net/sharia/

ـ تيسير بن سعد بن راشد أبو حيمد، حاجتنا إلىٰ العمل التطوعي، منشور في

-http: //www.alukah.net/social/

ـ زيد بن محمد الرماني، تطوع الشباب.. أمان من الانحراف الفكري، منشور في

http: //www.alukah.net/culture/